سلسلة: المدخل إلى دراسة كتب السلف (١)

بيان فضل علم السلف على علم الخلف

لِلحَافِظ عَبْدُ الرَّحمن بن أحمد ابن رَجَبٍ الحنْبَليِّ

المتوفى عام ٧٥٠ هـ



ضبط نصه وعلق عليه:

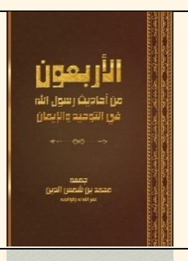
محمد بن شمس الدين

للتواصل حول شؤون متعلقة بالكتاب:

islamspedia@gmail.com

لتحميل كتب محمد بن شمس الدين:

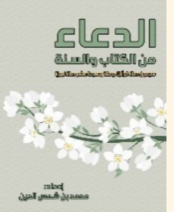
www.mshmsdin.com/?cat=5



الأربعون من أحاديث الرسول ﷺ في التوحيد والإيمان

الوصف: أربعون حديثًا صحيحًا في التوحيد والإيمان، مبوّب عليها بفقهها، وبآيات الكتاب

عدد الصفحات: ٧٠ قياس صغير



الدعاء من الكتاب والسنة

الوصف: جميع الأدعية القرآنية، و١١٧ دعاءً نبويًّا.

عدد الصفحات: ٦٠ قياس وسط



تيسير العقيدة الإسلامية

الوصف: شرح مختصر على منظومة سلم الوصول إلى علم الأصول

عدد الصفحات: ١٤٨ قياس كبير



تعليم الأطفال الإسلام

الوصف: كتاب يجمع مختلف أبواب الدين، ويعرضها بطريقة تناسب الطفل المسلم.

عدد الصفحات: ٢٥٦ قياس كبير

سلسلة:

المدخل إلى دِراسَة كتب السَّلَف

الكتاب الأول:

بيان فضل علم السلف

على علم الخلف

للعلَّامة: زينُ الدين، عبدُ الرحمنِ بنُ أحمد بنِ رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي

(المتوفى: ٧٩٥ هـ)

المحتويات

مقدمة

ما هي سلسلة المدخل إلى دراسة كتب السَّلَف

لمَّا رأيت شدّة الحاجة إلى تقريب علوم السَّلَف، والعناية بها، وما يعانيه شبابُنا مِن ضياع بسبب البعد عنها، وهم صنفان:

صِنف مُعرض عنها، وهؤلاء المنجرفون إلى المناهج المُنحرفَة؛ فقد أسمعهم علماؤهم بضعة اقتباسات حاولوا بها خدمة مذاهبهم، وصوَّروا لهم أن السَّلَف وكأنَّهم لا كلام لهم ألبتة في أمور الإيمان والاعتقاد، وأنهم كانوا مُعرِضون عن تدَبر النصوص، حتى تأخر الزمن فجاء علماء الكلام فوضعوا القواعد المؤسسة للعقل المسلم الرَّصين، التي تهبه الدِّقَّة العِلمَّة، والفكر العميق = فصُرفَ الشباب بمثل هذا الكلام عن علوم السَّلف، وانخدعوا بما سمعوا، خاصَّة وأنَّ علماءَهم أقنعوهم

بأن مَن يدَّعي الانتساب إلى السَّلَف ما هم إلا شِرذِمة مُقلِّدَة لأخطاء ابن تيمية -بحسب زعمهم- ومن ثم محمد بن عبد الوهاب، فظنَّ الشَّباب أنَّ السلف ليس عندهم من كلام إلا بضعة نصوص، وأنَّ علماءهم لا يخالفونها.

والصِّنف الثاني، وهم الذين أحبُّوا السَّلف، ورأوا أن الخير في اتِّباعِهم، والشَّرَّ في مخالفتهم، إلا أنهم صُرِفوا عنهم بحجَّة أن كلامهم صعب، ولا يُفهَم، وأن شيوخهم مِن المعاصرين أو بعض المتأخِّرين هم الممثلون الرَّسميون لعلوم السَّلف، فانشغل هؤلاء عن السَّلف بكلام الخَلَف، ولهذا آثار سيئة، فمِمَّن يدَّعي الانتساب إلى السَّلف مُمَيِّعون، فترى محبيهم على هذا التَّمييع، ظنًّا منهم أنَّ هذا منهج السَّلَف، ومِن المعاصرين مَن غلا في مسألة، فتجد محبيه يغلون فيها ظنًّا منهم أنَّ هذا منهج السَّلف، وحتَّى في الفقه تجد أن مجموعة من مشاهير المعاصرين قد يقولون قولًا؛ فيسمع الشَّابُّ الشيخَ الأول، فالثاني، فالثالث، فمَن بعده يقول قولًا؛ فيظنُّ ذلك الشَّاب أن هذا إجماع السَّلف، وأنَّ المخالف فيه مُبتدع، والحقيقة أنَّ هؤلاء الذين سمعهم قد

يكون مصدر قولهم واحدًا، وأكثر السَّلَف على خلافه، وسبب ذلك: الجفوة عن كتب السَّلَف، وعدم تقريبها.

وحتَّى بعضُ مَن قام بتحقيق بعضِ الكتب؛ حاول في الحاشية توجيهها إلى مراده، فرَدَّ على كثير مِن أقوال السَّلف، وعارضها بآراء الخلف، أو برأيه هو، حتَّى صار الأولى أن نسمِّي هذه الكتب «رد فلان على كتاب كذا» بدلا من «كتاب كذا. حققه فلان»

وهذا الأمر واقع في تحقيقات الجهميَّة بالدرجة الأولى، والمميعة في الدرجة الثانية، وغلاة التبديع في الدرجة الثالثة.

أما دور المحقق، فهو ضبط النص، وإخراج الكتاب كما يريد مؤلفه، ثم المتممات والكماليَّات؛ مِن تخريج للأحاديث، وبيان صحيحها من ضعيفها، وبيان الألفاظ المجملة، والغريبة، والتي يعرف أن الطبقة التي ستقرأ الكتاب لا تعرفها، والتعريف بالشخصيَّات التي ينتفع القارئ بالتعريف بهم، بتعريف موجز يحصل به المقصود، لا أن يذكر سيَرَهم، أو ينقل

صفحات من كتب أخرى، كما نرى في كثير من التحقيقات، حتى تجد في بعضها كلام المؤلف سطر، وسائر الصفحة للمحقق! ونحن إنما اتينا بالكتاب لقراءة كلام المؤلف، لا كلام المحقق.

وإنما قد يبيَّن خطأ المؤلف في أمر واضح الخطأ كأن يقول مثلا عن حديث «أخرجه البخاري من طريق حماد بن زيد» فنجده في الصحيح من طريق «حماد بن سلمة» فهذا وأضرابه يبيَّن. أما تخطئة المؤلِّف بالرأي، أو برأي غيره، فهذا ليس تحقيقًا، وإنما حاشية تنسب لصاحبها.

ومنهم مَن ضعَّفَ آثارًا صحيحة لأنها لا توافق رأيه، ومنهم من إذا مرَّ بأثر يوافق مرادَه خرَّجه مِن كلِّ المصادِر ليوهم القارئ بأنه قوي، ولا ينبِّه على ضعفه، وإذا مر بالمسألة التي يريدها حشد لها النقولات، وإذا مرَّ بما لا يريد؛ وجَّهَها توجيها مخالفًا لمراد المؤلف بطرق لا تظهر لغير الخبير.

فأردت في هذه السلسلة أن اضع بين أيديكم عشرة كتب، تكون كافيَةً للمُقتصِد، ومُنطلقًا للمُجتهِد، يتعرَّف فيها

المسلم على سَلَفِه مِن كلامِهم، سأحاول فيها -بإذن الله- أن أرتِّبها بتسلسل يليق بالمبتدئ، وبدأتها برسالة ابن رجب المدلِّلَة على فضلهم، والتي تشحَذ هِمة الحَريص إلى النَّظر في كتبهم، والاقتباسِ مِن علومهم.

وأسأل الله العون والتوفيق.

مَن هم السَّلَف؟

السَّلَف في اللغة: كلُّ مَن مضى.

والسلف في اصطِلاحِنا: أهلُ القرون الخيرية، الذين جاء مدحهم في حديث النَّبي ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ» [١] ففي هذه الرِّواية: ذكر قرنه وقرنين بعدهما.

---

[١] رواه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣)

وفي رواية ذكر بعد قرنه ثلاثة قرون «قَالَ عِمْرَانُ فَلاَ أَدْرِي: أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا» (٢)

ونخص من أهل القرون الخيرية عِندَ الذِّكرِ علماءهم، لأنهم أهل الكلمة، وموضع القدوة، ونستثني علماء الضلالة، لأنهم موضعٌ للذَّم لا للقدوة، ولهذا نقول: «السلف الصالح» وقلَّ استعمال قيد «الصالح» لضرورة العلم به، فيُختَصَر، ويُقال: «السَّلَف»

أما القرن، فقد قال الخليل بن أحمد الفراهيدي في "معجم العَين": «والقَرنُ: الأمَّة»

وقال ابن فارس في "مقاييس اللغة": «الْقَرْنُ: الْأُمَّةُ مِنَ النَّاسِ، وَالْجَمْعُ قُرُونٌ. قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾»

وقال ابن منظور في "لسان العرب": «والقَرْنُ: الأُمَّةُ تأْتي

---

(٢) رواه البخاري (٣٦٥٠) ومسلم (٢٥٣٣)

بَعْدَ الأُمَّة، قِيلَ: مُدَّتُه عَشْرُ سِنِينَ، وَقِيلَ: عِشْرُونَ سَنَةً، وَقِيلَ: ثَلَاثُونَ، وَقِيلَ: سِتُّونَ، وَقِيلَ: سَبْعُونَ، وَقِيلَ: ثَمَانُونَ وَهُوَ مِقْدَارُ التَّوَسُّطِ فِي أَعمار أَهْلِ الزَّمَانِ، وَفِي النِّهَايَةِ: أَهل كُلِّ زَمَانٍ، مأْخوذ مِنَ الاقْتِران، فكأَنه الْمِقْدَارُ الَّذِي يَقْتَرِنُ فِيهِ أهلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي أَعمارهم وأَحوالهم»

قلت: فليس المرادُ بالقرن مئة سنة كما يظن كثير ممن لم يحقق في المسألة. وسبب هذا الظن أن العجم استخدموا كلمة Saeculum -وهي المرادف اللاتيني لكلمة قَرن- فجعلوها للمئة سنة في التقاويم والحِساب، فعرَّبها العرب على «قرن»

فليس هذا المعنى الذي أراده رسول الله ﷺ. فأهل القرن هم أمَّة مِن النَّاس، ودليل ذلك أنه قال «ثم الذين يلونهم» ولم يقل «ثم *الذي يليه*» فالمراد: الصحابة، والتابعين، وأتباع التابعين، وإذا ثبت اللفظ الآخر؛ دخل الآخذون عن تبع التابعين وهم طبقة الإمام أحمد، وإسحاق، ويدخل فيها البخاري، وأبو بكر الدارمي، ومن أدرك الطبقة القرن الثالث.

نُبذَة عن المؤلِّف [٣]

هو أبو الفرَج، عبدُ الرحمنِ بنُ أحمد بنِ رجب بن الحسن، السلامي. الملقب بزَبن الدِّين، والمعروف بابن رجب الحَنبلي.

قال عنه «ابن المُبَرِّد: كان -رحمه الله تعالى- إماما ورعا زاهدا مالت القلوب بالمحبة إليه وأجمعت الفرق عليه كانت مجالس تذكيره الناس عامة نافعة وللقلوب صادِعة»

ولد في بغداد عام ٧٣٦هـ، ونشأ في دمشق، وعاش فيها إلى وفاته عام ٧٩٥هـ.

مِن شيوخه:

- ابن القَيِّم.
- زين الدين العراقي.
- أبو الحرم محمد بن محمد بن محمد القلانسي.

[٣] مصادر الترجمة: «لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ» / «الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد» / «الأعلام للزركلي»

- إبراهيم بن داود العطار.
- محمد بن إبراهيم الميدومي.

من كتبه:

- «فتح الباري، شرح صحيح البخاري» وهو شرح نفيس، ولكنَّه وصل إلى الجنائز، ولم يتمَّه [٤].
- «شرح جامع الترمذي» وهو مفقود إلى الآن.
- «شرح عِلَل الترمذي» وهو كتاب في علل الحديث، وهو جزء من الكتاب السابق، إلا أنه موجود بحمد الله.
- «جامِع العلوم والحِكَم» وهو مِن أشهر كتبه.

وله كتب أخرى، ورسائل نفيسة جدًا.

منهج المؤلف في الكِتاب

١- بدأ بالآيات الدالة على مراده مِن هذا الكِتاب.

٢- قسّم العلم إلى نافع، وغير نافع. وبيَّن أنَّ النافعُ قد

---

[٤] يوجد شرح بنفس الاسم لابن حجر، وهو المشهور بين الناس.

يكون نافعًّا بنفسِه، إلا أن حاملَه قد ينتفع به، أو لا ينتفع به.

٣- أتي بالأدلة على هذا التقسيم من السّنَّة وأقوال السَّلَف.

٤- ثم ذكر أنواعا من العلوم غير النافعة.

٥- وبيَّن ما كان الأخذ منه بقدر الحاجة نافِعًا، والتَّوسع فيه غير نافع.

٦- بيَّن بعض العلوم التي تشاغل بها أهل البِدَع

٧- ذكر القدر، وحكم الخوض فيه.

٨- ثم ذكر ما وقعت فيه بعض الفِرَقِ مِن خلل منهجي، وبيَّن عيوبه.

٩- ثم بيَّن محاسِن كلام السَّلف وطريقتِهم.

١٠- ثم انتقل إلى بيان العلم النَّافِع.

١١- ثم بيَّن علامات وآثار العلم النافع، وغير النَّافع.

١٢- ثم عقد فصلا في ضلال أهل الكتاب، وقارنه مع أهل العلم غير النَّافع

فنسأل الله تعالى أن ينفعنا بهذا الكتاب، ويرزقنا العلم النافع.

عملي في هذا الكتاب

- ضبطت النص ونسَّقته.
- الآيات ضبطتها على رواية هشام عن ابن عامر التي كان يقرأ بها أهل الشَّام في زمانه، وجعلت خطًّا تحت الكلمات التي تختلف فيها عن رواية حفص، وليس يختلفان إلا في قراءة كلمتين مما في هذا الكتاب.
- خرَّجت الأحاديث والآثار، وذكرت أحكامها من حيث الصحةُ والضعف.
- في التصحيح والتَّضعيف نقلت أقوالَ أهل العِلم، وما نَقَلتُه عزوته إلى قائله، وما لم أجد فيه قولًا لأهل العلم المعروفين، أو اختلفوا فيه؛ نظرت في إسنادِه.
- إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما؛ اكتفيت به، وإذا كان في السنن، أو بعضها؛ اكتفيت بها، وإذا كان في غيرها؛ ذكرته مِن الكتب المشهورة، أو التي جاء فيها

بإسناد سليم.

- أما آثار الصحابة والتابعين ففي الغالب أذكُر المصنَّف الأقدم، أو الأصح إسنادًا. وبيَّنت أحكامها مِن حيث الصِّحَّة والضَّعف.
- وما لم أخرِّجه مِن الآثار لم أجده مُسندًا، ولا أرى كبير فائدة في تكثير العزو إلى كتب أخرى غير مُسندة.
- وضعت خطًّا متعرِّجا تحت الأحاديث والآثار الضَّعيفة.
- بيَّنت ما تيسَّر من الألفاظ والعبارات التي قد تشكل على القارئ.
- عرَّفت ما تيسَّر مِن العلماء الذين ذكرهم المؤلِّف.
- لم أذكر مواضع الآيات، فإني أرى ذلك من تكثير الحواشي دون حاجة.
- وجعلت أرقام الحواشي منه ما هو إلى الأعلى [(١)] وهذا ما فيه فوائد، ومنه منخفض (١) وهو ما فيه تخريج.

الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ أعن يا كريم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين وسلَّم تسليما كثيرًا.

أما بعدُ؛ فهذه كلماتٌ مختصرةٌ في

معنى العلمِ، وانقسامِه إلى علم نافع، وعلم غير نافع، والتنبيهِ على فضلِ علمِ السلفِ على علم الخلف، فنقول -وبالله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله-:

قد ذكر الله تعالى في كتابه العلمَ تارةً في مقام المدحِ، وهو العلم النافع، وتارة في مقام الذم، وهو العلم الذي لا ينفع.

فأما الأول فمثل قولِه تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَستَوِي الَّذِيْنَ يَعْلَمُوْنَ وَالَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ﴾ وقولِه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ وقولِه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ وقولِه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَـٰؤُاْ﴾

وما قصَّ سبحانَه من قصة آدم وتعليمه الأسماء، وعرضِهم على الملائكة وقولِهم: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ وما قصَّه سبحانه وتعالى من قصة موسى عليه السلام، وقولِه للخَضِر: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ فهذا هو العلم النافع.

وقد أخبر عن قوم أنهم أوتُوا علمًا ولم ينفعْهم علمُهم. فهذا عِلم نافع في نفسه، لكن صاحبَه لم ينتفعْ به. قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ وقال: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى

وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ وقال: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ على تأويل من تأول الآية على: ﴿عِلْمٍ﴾ عند من أضلَّه اللهُ.

وأما العلم الذي ذكره الله تعالى على جهة الذم له، فقولُهُ في السحر: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ وقولُه: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [٥]وقولُه تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [٦]

---

[٥] العلم في هذه الآية والتي قبلها ليس علوم الدنيا النافعة وإنما هو قَوْلهم: ﴿نَحن أعلم مِنْهُم وَلنْ نعذَّب﴾.

[٦] أما هذه لآية فليس يظهر أن المراد ذم العلم الذي ذُكِرَ فيها، فقد قال المفسرون أن المراد به «مَعَايشهمْ وَمَا يصلحهم»، وهذا علم نافع خَيْرٌ، ولكن الشَّر في حامِلِه إذ

=

ولذلك جاءت السنة بتقسيم العلم إلى نافع، وإلى غير نافع، والاستعاذةِ من العلم الذي لا ينفع، وسؤالِ العلمَ النافِع.

ففي صحيح مسلم [٧] عن زيدِ بنِ أرقمَ أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا» وخَرَّجه أهلُ السنن [٨] من وجوه متعددة عن النبي ﷺ. وفي بعضها: «ومِن دُعاءٍ لا

غفل به عن علم الآخرة. كما جاء عن الحَسَن: «لَيَبْلُغُ مِن حِذقِ أحدِهم بِأَمْر دُنْيَاهُ أَنه يقلب الدِّرْهَم على ظفره فيخبرك بوزنه، وَمَا يحسن يُصَلِّي» [تفسير ابن أبي حاتم ١٧٤٦٧]

[٧] (٢٧٢٢)

[٨] سنن أبي داود، وجامع التِرمِذي، وسنن النَّسائي، وسنن ابنِ ماجَه. وهذه التي يسميها أهل العلم «السنن الأربع» فإذا أضيف إليها الصحيحان (صحيح البخاري، وصحيح مسلم)؛ سُمِّيَت: «الكتب الستة»

يُسمَعُ» (٩) وفي بعضِها: «أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الأَرْبَعِ» (١٠)

وخرَّج النَّسائي من حديث جابر أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ» (١١)

وخرَّجه ابن ماجه ولفظه أن النبي ﷺ قال: «سَلُوا اللهَ عِلْمًا نَافِعًا، وَتَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ» (١٢)

وخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْمًا» (١٣)

---

(٩) أبو داود (١٥٤٨) والترمذي (٣٨٤٢) والنسائي (٥٤٦٧) وابن ماجه (٢٥٠) وصححه الألباني، وأحمد شاكر، وشعيب الأرنؤوط.

(١٠) الترمذي (٣٤٨٢) والنسائي (٥٤٧٠)

(١١) لم يخرجه النسائي في المجتبى، وإنما في السنن الكبير (٧٨١٨) والعادة: إذا قيل: أخرجه النسائي، فإنما يُراد «المجتبى» أو «السنن الصغرى» وهو المعروف بين الناس بـ«سنن النسائي»

(١٢) (٣٨٤٣) وحسنه الألباني، وحسين سليم أسد.

(١٣) الترمذي (٣٥٩٩) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ» ورواه وابن ماجه (٢٥١)

=

وخرَّج النَّسَائي من حديث أنس أن النبي ﷺ كان يدعو: «اللهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَارْزُقْنِي عِلْمًا تَنْفَعُنِي بِهِ» [١٤]

وخرج أبو نُعَيمٍ من حديثِ أنسٍ أن النبي ﷺ كان يقول: «اللّٰهُمَّ إنّا نسألك إيمانًا دايمًا» فرُبَّ إيمان غير دايم، «وأسألُكَ علمًا نافعًا» [١٥] فرُبَّ علم غير نافع

وخرَّج أبو داود من حديث بُريدة عن النبي ﷺ قال: «إنَّ مِنَ

وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده ضعيف لضعف موسى بن عُبيدة -وهو الرَّبَذي- وجهالة شيخه محمَّد بن ثابت» قال: «ولقوله: «اللّٰهُمَّ انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني» شاهد من حديث أنس سلف ذكره هناك، وإسناده حسن»

[١٤] أخرجه النسائي في الكبرى (٧٨١٩) وقال الحاكم (١٨٧٩) هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ

[١٥] الذي عند أبي نعيم في الحلية (ج٦ص١٧٩ ط. دار السعادة): «اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا دَائِمًا، وَهَدْيًا قَيِّمًا، وَعِلْمًا نَافِعًا» ورواه ابن أبي شيبة بلفظ قريب (٣٢٣٧٨) وصححه سعد الشثري.

البَيانِ سِحرًا، وإن من العلِم جَهْلًا» (١٦) وأن صَعْصَعَةَ بنَ صُوحَانَ (١٧) فسر قوله: «إن من العلم جهلًا» أن «يتكلف العالم إلى عِلمِهِ ما لا يعلَمُ فيُجَهِّلُه ذلك» (١٨) ويُفسَّر أيضا بأن العلمَ الذي يضر ولا ينفع: جهلٌ، لأن الجهلَ به خيرٌ من العلم به؛ فإذا كان الجهل به خيرًا منه؛ فهو شر من الجهل، وهذا كالسِّحرِ وغيرِه مِن العلوم المضرَّة في الدين أو في الدنيا.

وقد رُويَ عن النبي ﷺ تفسيرُ **بعضِ العلوم التي لا تنفع**. ففي مَراسِيلِ (١٩) أبي داود عن زيد بن أسلم، قال: قيل يا رسول الله ما أعلمَ فلانًا! قال: «بِمَ؟» قالوا: **بأنساب**

(١٦) برقم (٥٠١٢) قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره دون قوله: «وإن من العلم جهلًا»

(١٧) تابعي، من أصحاب عليٍّ رضي الله عنه. وهو محدِّثٌ ثِقة وثقه ابن سعد والنسائي.

(١٨) المصدر السابق

(١٩) **المُرسَل**: هو الحديث الذي يرويه شخص التَّابِعِيُّ أو مَن بعده عن النبي ﷺ دون ذِكرِ الواسطة بينهم. وهذا الاسناد يكون ضعيفًا. وهناك حالات أخرى.

الناس، قال: «علمٌ لا ينفعُ، وجَهَالةٌ لا تَضُرُّ»[٢٠]

وخرجه أبو نعيم في كتاب "رياضة المُتَعَلِّمين" من حديث بقيةَ، عن ابن جُرَيْجٍ عن عطا، عن أبي هريرة مرفوعا[٢١] وفيه أنَّهم قالوا: «أعلم الناس بأنساب العرب، وأعلم الناس بالشعر، وبِما اختلفت فيه العرب» وزاد في آخره: «العلم ثلاثة ما خلاهن فهو فضل: آية مُحْكَمَة، أو سُنَّةٌ قائمةٌ، أو فريضةٌ عادلةٌ» وهذا الإسناد لا يصح، وبقيةُ[٢٢] دَلَّسهُ[٢٣] عن غير ثقة.

---

[٢٠] المراسيل لأبي داود (٤٧٨) ضعيف لإرسالِه

فائدة: والعُلَماء قد يذكرونَ الحديثَ الضَّعيفَ في مِثل هذه الكتب -أعني في غير كتب الحديث- لأنَّهم يقرُّون بِمَعناه، فإذا وجدوا المعنى الذي يريدون ذكره في حديث ضعيفٍ أتَوا بِه بدلًا مِن أن يقولوه مِن قَولِهِم. وهذا ليس كالفقيه الذي يبني أحكامًا على احاديثَ ضعيفة، فتَنَبَّه.

[٢١] **المرفوع**: هو الذي فيه من قول أو فعل النبي ﷺ، صحيحًا كان أو ضَعيفًا.

[٢٢] يقصد: «بَقِيَّة بن الوليد» وهو أحدُ الرواة، وكان مشهورا بالتدليس.

[٢٣] **التدليس**: هو أن يخفي اسم أحد الوسائط الذين نقلوا الحديث، وله أنواع، منها ما يوهم أن الشخص المَخفِي شخصًا آخر، ومنها ما يَظهر أنه لا يوجد شخص قد أخفي مِن الإسناد.

وآخِر الحديث خرجه أبو داود، وابنُ ماجه، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا: «العلمُ ثلاثةٌ، وما سوى ذلك فهو فضل: آية محكمة، أو سنة قايمة، أو فريضة عادلة» (٢٤) وفي إسناده: عبد الرحمن بن زياد الأفريقي، وفيه ضَعف مشهور.

وقد ورد الأمر بأن يُتعلم من الأنساب ما تُوْصَلُ به الأرحام من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ» أخرجه الإمام احمد والترمذي (٢٥)

وخرجه حميد بن زَنْجُوْيَهْ (٢٦) من طريق آخر عن أبي هريرة مرفوعًا: «تَعلَّمُوا مِنْ أنسابكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، ثُمَّ

---

(٢٤) أبو داود (٢٨٨٥) وابن ماجه (٥٤)

(٢٥) أحمد (٨٨٦٨) والترمذي (١٩٧٩)

(٢٦) الأسماء المنتهية بـ «ويه» مثل راهويه، سيبويه، زنجويه، هي أسماء فارسيَّة، اللغويون ينطقونها: «وَيْهِ» والمُحَدِّثون ينطقونها «وْيَهْ» وسبب الخِلاف: أن اللغويون قاسوها على كلمة «وَيْهِ» وهي كلمَة تقال للتحريض، فقاسوا الأسماء عليها، وأما أهل الحديث فإنهم ينطقونها كما سمعوها وكما ينطقها أهلها.

انْتَهُوا، وَتَعَلَّمُوا مِنَ الْعَرَبِيَّةِ مَا تُعْرِبُونَ بِهِ كِتَابَ اللهِ، ثُمَّ انْتَهُوا، **وَتَعَلَّمُوا مِنَ النُّجُومِ** مَا تَهْتَدُونَ بِهِ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، ثُمَّ انْتَهُوا» [٢٧] وفي إسناد روايته ابن لَهِيْعَة [٢٨]

وخرج أيضًا من رواية نُعَيْم بن أبي هند قال: قال: عُمر: «تَعَلَّمُوا مِن النُّجُومِ ما تهتَدُونَ بِه فِي بَرِّكُم وبَحرِكُم ثمَّ أمسِكوا، وتَعَلَّمُوا مِن النِّسبَة ما تَصِلُون به أرحامَكُم، وتَعَلَّمُوا ما يَحِلُّ لكُم مِن النِّساء ويَحرُمُ عليكُم ثُم انتَهُوا» [٢٩]

وروى مِسَعرٌ عن محمد ابن عُبَيد الله قال: قال: عمر بن الخطاب: «**تَعَلَّمُوا مِنَ النُّجُومِ** مَا تَعْرِفُونَ بِهِ الْقِبْلَةَ وَالطَّرِيقَ» [٣٠]

---

[٢٧] أخرجه البيهقي من طريق ابن زَنجويَهْ في شعب الإيمان (١٧٢٣)

[٢٨] وهو راوٍ ضعيف الحديث.

[٢٩] (حسن) رواه بهذا اللفظ أبو بكر ابن النجاد في "مسند عمر بن الخطاب" (٤١) بإسناد مقارِب، وتعضده رواية هناد بن السَّري في "الزهد" (ج٢ص٤٨٧) وابن عبد البر "في جامع بيان العلم" (١٤٧٤)

[٣٠] قال نايف الشَّحُود: «الزهد للمعافى بن عمران الموصلي (١٤٦) وفيه انقطاع» [الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل ص٤٦٠]

وكان النَّخَعِيُّ [٣١] لا يرى بأسًا أن يتعلم الرجلُ من النجوم ما يهتدي به، ورَخَّص في تعلم منازِلِ القمر أحمدُ [٣٢] وإسحقُ [٣٣]، نقلَه عنهما حَرب، زاد إسحاق: ويتعلم من أسماء النجوم ما يهتدي به [٣٤]. وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخصْ ابن عُيَيْنَةُ فيه، ذكره حرب عنهما [٣٥].

وقال: طاووس: «رُبَّ ناظِرٍ في النُّجوم، ومُتَعَلِّمٍ حروفَ أبي

---

[٣١] **إبراهيم النخعي** المتوفى ١٩٦هـ من متأخري التابعين. إمام أهل الكوفة في زمانه.

[٣٢] ابن حنبل. الإمام المعروف. ستأتي ترجمته.

[٣٣] هو إسحاق بن إبراهيم، المعروف بإسحاق بن راهُويَه. ت٢٣٨هـ ستأتي ترجمته.

[٣٤] مسائل حرب (١٣٠٥).

وحرب هو **حرب بن إسماعيل الكِرماني**، توفي عام ٢٨٠هـ وهو مِن الأئمة في زمانه. أخذ العلم عن أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وسعيد بن منصور، وغيرهم.

[٣٥] مسائل حرب (١٣١٠) و(١٣١١)

جاد [٣٦]؛ لَيسَ لَه عِندَ اللهِ خَلاق» خرجه حرب [٣٧] وخرجه حُمَيْدُ بن زَنْجُوْيَهْ مِن رواية طاووس عن ابن عباس. [٣٨] وهذا محمول على علم التأثير لا علم التسيير [٣٩] فان علمَ التأثير باطل محرم وفيه وَرَدَ الحديث المرفوع: «مَن اقتبَسَ علْمًا مِنَ النُّجُومِ اقْتبَسَ شُعبَة مِن السِّحرِ» خرجه أبو داود من حديث ابن عباس مرفوعًا[٤٠]

وخرج أيضًا من حديث قبيصة مرفوعًا: «العِيَافَةُ والطِّيرَةُ

---

[٣٦] يقصد ما يسمى بعلم الحروف، وحساب الجُمَّل، وهو إعطاء قيم رقمية للحروف، وهذه تستخدَم في السِّحر والتَّكهُّن.

[٣٧] مسائل حرب (١٣١٢)

[٣٨] رواه ابن أبي شيبة (٢٥٦٤٨) حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاوُوسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: (يَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ وَفِي حُرُوفِ أَبِي جَادٍ، قَالَ: أَرَى أُولَئِكَ قَوْمًا لاَ خَلاَقَ لَهُمْ). وحسنه الشثري

[٣٩] التأثير هو ما يدعون مِن أن حركة الكواكب والنجوم تؤثر على حياة الناس. والتسيير: هو العلم بسيرها، ومواقعها، وما شابه.

[٤٠] أبو داود (٣٩٠٥) وابن ماجه (٣٧٢٦) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.، وقال الألباني: حسن

والطَّرقُ مِن الجِبتِ» [٤١] والعيافة: زجرُ الطير [٤٢]، والطرق: الخط في الأرض [٤٣].

فعِلمُ تأثير النجوم باطل محرم. والعمل بمقتضاه كالتقرب إلى النجوم، وتقريب القرابينِ لها؛ كفر، وأما علم التَّسيير، فإذا تعلم منه ما يحتاج إليه للاهتداء، ومعرفة القبلة، والطُّرُق؛ كان جائزًا عند الجمهور، وما زاد عليه فلا حاجة إليه، وهو يشغَل عمَّا هو أهم منه. وربما أدى التدقيقُ فيه إلى إساءة الظن بمحاريب [٤٤] المسلمين في أمصارهم [٤٥]، كما وقع ذلك كثيرًا من أهل هذا العِلم قديمًا وحديثًا، وذلك يفضي إلى اعتقاد خطأ

---

[٤١] **الجبت**: الدي جاء في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾

[٤٢] أي تركُه يطير، فإن طار إلى اليمين؛ تفاءلوا وأشرعوا في الأمر، وإن طار إلى الشمال؛ تشاءموا، وتركوا ما أرادوا فعله.

[٤٣] يخطون بأصابعهم خطوطا في الرمل، ويرمون بعض الحَصى، ويتكهنون.

[٤٤] يريد المكان الذي يقف فيه الإمام في الصلاة. وإساءة الظن: يعني بصحة توجهه، وبالتالي صحة صلاته.

[٤٥] **الأمصار**: جمع مِصر، وهو البَلَد الذي يحتوي على قرى.

الصحابة والتابعين في صلاتهم في كثير من الأمصار، وهو باطل.

وقد أنكر الأمام أحمدُ الاستدلال بالجَديِ وقال: «إنما ورد: ما بين المشرق والمغرب قبلة» [٤٦] يعني: لم يَرِد اعتبارَ الجدي ونحوه من النجوم.

---

[٤٦] **برج الجدي**: هو مجموعة نجميَّة معروفة، قالوا أن اهل بغداد إذا جعلوها وراء ظهورهم؛ كانت القبلة تلقاء وجوههم.

قال ابن عبد البر: « قِيلَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ [أحمد بن حنبل]: قِبْلَةُ أَهْلِ بَغْدَادَ على الجدي؟ فَجَعل يُنكر الجدي، وقال: ليس على الجدي وَلَكِنْ حَدِيثُ عُمَرَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ» [التمهيد ج١٧ص٦٠]

إلا أن الحنابلة لم يعتمدوا قوله هذا، فقد قال حرب الكرماني: «يَنبَغِي لَهم أن يَتَحَرَّوا بِصلاتهم إذا صَلَّوا، وتُبنى مَساجِدُهم إذا بَنَوها» ثم ذكر كيف يستدل أهل الأمصار على القبلة من خلال النجوم [مسائل حرب ج١ص٦٠٢]

وقال ابن قدامة: « وَأَوْثَقُ أَدِلَّتِهَا [يعني القِبلة] النُّجُومُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾»

وقال ابن عبد البر: «أَجْمَعُوا أَنَّ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا [يعني لم يستطع رؤية الكعبة] بَعُدَ أَوْ قَرُبَ أَنْ يَتَوَجَّهَ فِي صَلَاتِهِ نَحْوَهَا بِمَا قَدَرَ عَلَيْهِ مِنَ الِاسْتِدْلَالِ عَلَى جِهَتِهَا مِنَ النُّجُومِ وَالْجِبَالِ وَالرِّيَاحِ وَغَيْرِهَا» [الاستذكار ج٢ص٤٥٥]

وقد أنكر ابن مسعود على كعب [٤٧] قوله إن الفلك تدور، وأنكر ذلك مالك وغيره. وأنكر الإمام أحمد على المنجمين قولهم أن الزوال يختلف في البلدان [٤٨].

وقد يكون إنكارهم أو إنكار بعضهم لذلك لأن الرسل لم تتكلم في هذا، وإن كان أهله يقطعون به، وإن كان الاشتغال به ربما أدى إلى فساد عريض.

وقد اعترض بعض من كان يعرف هذا على حديث النزول ثلث الليل الآخر [٤٩] وقال: «ثلثُ الليل يختلفُ باختلاف

---

[٤٧] **كعب الأحبار**: تابعيٌّ، كان مِن أحبار اليهود، ثم أسلَم.

[٤٨] قال حرب: «وسمعتُ أحمدَ يقول: «الزَّوال في الدُّنيا كُلِّها واحِد». قيل له: فإنه يَتَغَيَّر في البُلدان؟ فأنكَرَ ذلك إنكارًا شَديدًا، وذَهَبَ إلى أنه كَلام المنَجِّمين» [مسائل حرب كتاب الطهارة ص٥٩١]

والزوال: هو تحرك الشمس عن وسط السماء إلى جهة المغرب، وثبت يقينا اختلافه في البلدان.

[٤٩] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ

=

البلدان؛ فلا يمكن أن يكون النزول في وقت معين». ومعلوم بالضرورة من دين الإسلام قبح هذا الاعتراض، وأن الرسول ﷺ أو خلفاءه الراشدين لو سمعوا من يعترض به لَمَا ناظروه، بل بادروا إلى عقوبته وإلحاقه بزمرة المخالفين المنافقين المكذبين.

كذلك التوسع في علم الأنساب هو مما لا يحتاج إليه، وقد سبق عن عمر وغيره النهي عنه، مع أن طائفة من الصحابة والتابعين كانوا يعرفونه ويعتنون به [٥٠]

وكذلك التوسع في علم العربية لغة ونحوًا: هو مما يشغل عن العلم الأهم، والوقوف معه يحرِمُ علمًا نافعًا. وقد كره القاسم بن مُخَيْمِرَةَ [٥١] علمَ النحو وقال: «أوله شُغلٌ وآخره بَغي» وأراد به التوسعَ في معرفة اللغة وغريبِها، ولذلك كره أحمد

يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» رواه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨)

[٥٠] ومنهم أبو بكر الصِّدِّيق.

[٥١] تابعي، توفي عام ١٠٠هـأخذ عن عبد الله بن عمرو، وأبي أمامة الباهلي، وأبي سعيد الخدري.

التوسع في معرفة اللغة وغريبها، وأنكر على أبي عبيدة توسُّعَه في ذلك، وقال: «هو يُشغِل عما هو أهمُّ منه» (٥٢).

ولهذا يُقال: «إن العربيةَ في الكلامِ كالمِلحِ في الطَّعامِ» يعني أنه يؤخذ منها ما يُصلِحُ الكلامَ كما يؤخذ من الملح ما يصلح الطعام، وما زاد على ذلك فإنه يُفسده.

وكذلك علم الحساب يُحتاج منه إلى ما يُعرف به حساب

---

(٥٢) **أبو عبيد**: هو القاسم بن سَلَّام، إمام كبير، وله كتب في اللغة العربيَّة تنتفع بها الأمَّة إلى يومِنا هذا، وهو أعجَمِيٌّ رومِيٌّ، فأحَسَّ بالحاجَة إلى اللغة، والإمام أحمد عربيٌّ، فليس شعوره بهذه الحاجة كشعور مَن وُلِدَ وأهلُه لا يُحسِنون هذه اللغة.

ولم يكن يريد الانتقاص مِن مكانة علوم العربيَّة، ولكنَّه كان يُريد للقاسِم الاشتغال بالحديث، فاشتغاله بالعربية جعله في درجة أقلَّ مِن أحمد في هذا العلم، والإمام أحمد يحب الخير للقاسم، ويحبُّ الاشتغال بالسنن.

ثم إنَّ الإمام أحمد اعتنى باللغة، خاصَّة بعد أن صار المعتَزِلَة يَشغَبون بتأويل القُرآن، فقال أبو حسان الورَّاق: طلب مني أبو عبد الله -وهو في السجن- كتابَ حمزة في العربية؛ فدفعته إليه، فنظر فيه قبل أن يُمتَحَن» [الإبانة لابن بطة ٤٤٢]

كما قال محمد بن حبيب: قال أحمد: «كتبتُ من العربية أكثر مما كتب أبو عمرو بن العلاء». [طبقات الحنابلة ج١ص١٦ / المقصد الأرشد ج١ص٦٧]

ما يقعُ من قِسمَة الفرائض والوصايا والأموال التي تُقَسَّم بين المستحقين لها، والزائد على ذلك مما لا ينتفع به إلا في مجرد رياضة الأذهان وصقالها لا حاجة إليه، ويَشغَل عما هو أهم منه.[٥٣]

وأما ما أُحدِثَ بعد الصحابة من العلوم

التي توسع فيها أهلها، وسمَّوها علوما وظنوا أن من لم يكن عالمًا بها فهو جاهل أو ضال؛ فكلها بدعة، وهي من مُحدَثات الأمور المنهي عنها.

فمن ذلك ما أحدثته المعتزلة من الكلام في القَدَر، وضرب

---

[٥٣] هل هذا النهي لطلاب العِلم الشَّرعي، أم لعامَّة النَّاس؟ يُقال في الجواب عن هذا: إن المسلمين كانت لهم حِرَف، وكان منهم المنشغل بتجارته، أو زَرعِه عَن العِلم، ولم يرد النهي عن ذلك لمَن لم ينشغِل به عن دينه، فكذا حال المتخصصين في مجال الاقتصاد، أو غيرها مِن العلوم النافعة التي يحتاج الناس إليها، إلا أنَّ من كانت له همة، وكان له عقل، فأولى به أن يسبِقَ إلى تعلُّمِ دينه، بدلا مما نراه من تنافس على علوم الدنيا.

الأمثال لله (٥٤)، وقد وَرَد النهي عن الخوض في القدر، وفي صحيحَي (٥٥) ابن حِبَّانَ والحاكم عن ابن عباس مرفوعًا: «لاَ يَزَالُ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ موافيا وَمُقَارِبًا مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا فِي الوِلْدَانِ وَالقَدَرِ» (٥٦)

---

(٥٤) كقولهم: «إذا كان الله استوى على عرشه؛ فسيكون محتاجا إليه» وقولهم: «إذا كان لله يد؛ فستكون كأيدينا» وقولهم: «إذا كان الله يتكلَّم؛ فسيكون له لسان واسنان وحنجرة» تعالى الله عمَّا يقولون علوًّا كبيرا.

(٥٥) كتاب الحاكِم اسمه "المُستَدرَك" على الصَّحِيحَين، وكان بعض العلماء يسمِّيه "صحيح الحاكم" لكونه اشترَط الصِّحَّة في أحاديثه، إلا أنه لا يُسَلِّم له العلماء في كثير مما صححه، وكذلك الأمر في صحيح ابن حِبَّان، وابن خزيمة.

(٥٦) عند ابن حِبَّان مرفوع برقم (٤٨٧٨) ولفظه: «لاَ يَزَالُ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ مُوَائِمًا، أَوْ مُقَارِبًا، مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا فِي الْوِلْدَانِ وَالْقَدَرِ» وعند الحاكم مرفوع برقم (٩٣) وفيه: «مُؤَامِرًا أَوْ قَالَ مُقَارِبًا» وقال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَا نَعْلَمُ لَهُ عِلَّةً وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، وقال الذهبي في تعليقه: «على شرطهما ولا عِلَّة له»

أما الوِلدان، فالمراد بهم عند كثير من أهل العِلم: حال أطفال المشركين في الآخرة. والكلام فيهم له ارتباط بقضيّة القَدَر.

وقد روي موقوفا (٥٧) ورجح بعضهم وقفه.

وخرَّج البيهقي من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي، فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَ النُّجُومُ، فَأَمْسِكُوا» (٥٨) وقد روي من وجوه متعددة في أسانيدها مقال.

ورُوي عن ابن عباس أنه قال لميمونَ بن مِهران: «إِيَّاكَ وَالنَّظَرَ فِي النُّجُومِ، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكَهَانَةِ، وَإِيَّاكَ وَالنَّظَرَ فِي الْقَدَرِ، فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى الزَّنْدَقَةِ، وَإِيَّاكَ وَشَتْمَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَكُبَّكَ اللهُ عَلَى وَجْهِكَ» (٥٩) وخرَّجه أبو نعيم مرفوعًا، ولا يصح رفعه.

---

(٥٧) عند الفِريابي في القَدَر (٢٥٩) وعبد الله بن أحمد في السنَّة (٨٧٠).

(٥٨) لم أجده عند ابن حبان والحاكم، وإنما رواه الطبراني (١٠٤٤٨) ورواه غيره. قال العراقي: «أخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد حسن» وقوَّاه الألباني بمجموع طرقه [الصحيحة ٣٤]

ومعنى أمسِكوا: أي اسكتوا عن الوقوع فيهم، أو اغتيابِهم، او لَمزِهم.

(٥٩) رواه ابن المقرئ في معجمه (٨١٧) واللالكائي (١١٣٤) واسناده قريب من الحسن، فيه نعيم بن حمَّاد، صدوق، اختلفوا في ضبطه.

والنهيُ عن الخوض في القدر يكونُ على وجوه منها:

ضرب كتاب الله بعضه ببعض، فينزِع المثبت للقدر بآية، والنافي له بأخرى، ويقع التجادل في ذلك. وهذا قد روي أنه وقع في عهد النبي ﷺ وأن النبي ﷺ غضب من ذلك ونهى عنه [٦٠] وهذا من جملة الاختلاف في القرآن والمِراء فيه، وقد نُهِيَ عن ذلك. [٦١]

---

[٦٠] عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَهُمْ يَخْتَصِمُونَ فِي الْقَدَرِ، فَكَأَنَّمَا يُفْقَأُ فِي وَجْهِهِ، حَبُّ الرُّمَّانِ مِنَ الْغَضَبِ، فَقَالَ: «بِهَذَا أُمِرْتُمْ، أَوْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ، تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، بِهَذَا هَلَكَتِ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ» رواه ابن ماجه (٨٥) قالوا في الزوائد: «في الزوائد هذا إسناد صحيح رجاله ثقات» وقال الألباني: «حسن صحيح» وقال الأرنؤوط: «اسناده حسن» ورواه أحمد (٦٦٦٨) وقال أحمد شاكر: «اسناده صحيح» وهو عند مسلم (٢٦٦٦) دون ذكر القدر

[٦١] قال ﷺ: «مِرَاءٌ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ» رواه أحمد (٧٨٣٥) والحاكم (٢٨٨٢) واستحسنه يحي بن معين [جامعة الرجال والعلل ١٣٨٦] وقال الذهبي: «على شرط مسلم» وصححه الألباني، وأحمد شاكر، وشعيب الأرنؤوط.

ومنها: الخوض في القدر إثباتًا ونفيًا بالأقيسة العقلية، كقول القدرية [٦٢]: لو قدَّر وقضى ثم عذَّب؛ كان ظالمًا، وقول من خالفهم: إنْ اللهُ جَبَرَ العبادَ على أفعالهم، ونحو ذلك.

ومنها: الخوض في سِرِّ القَدَر، وقد ورد النهي عنه عن عليٍّ

---

[٦٢] قال أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية: «**الْقَدَرِيَّةُ الْمَجُوسِيَّةُ** مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَغَيْرِهَا وَهُمْ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ أَفْعَالَ عِبَادِهِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ بِعِبَادِهِ مِنْ الْخَيْرِ أَكْثَرَ مِمَّا فَعَلَهُ بِهِمْ، بَلْ وَلَا عَلَى أَفْعَالِهِمْ، فَلَيْسَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. أَوْ أَنَّ مَا كَانَ مِنْ السَّيِّئَاتِ فَهُوَ وَاقِعٌ عَلَى خِلَافِ مَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ. وَهُمْ ضَلَالٌ مُبْتَدِعَةٌ مُخَالِفُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ سَلَفِ الْأُمَّةِ، وَلِمَا عُرِفَ بِالْعَقْلِ وَالذَّوْقِ.

ثُمَّ إنَّهُ قَابَلَهُمْ قَوْمٌ شَرٌّ مِنْهُمْ وَهُمْ الْقَدَرِيَّةُ الْمُشْرِكِيَّةُ الَّذِينَ رَأَوْا الْأَفْعَالَ وَاقِعَةً بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، فَقَالُوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ وَلَوْ كَرِهَ اللَّهُ شَيْئًا لَأَزَالَهُ وَمَا فِي الْعَالَمِ إلَّا مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ» [مجموع الفتاوى ج٢ص٤٠٩]

وأما عن سبب التسمية، فقال علي بن إسماعيل الأشعري: «فلمَّا كُنتُم تزعُمونَ أنكم تُقَدِّرُونَ أعمالَكُم وتَفعلونها دُونَ ربِّكم، وَجَبَ أن تكونوا قَدرِيَّةً، ولم نَكُن نحن قدرية» [الإبانة ص٧٢]

وغيره من السلف (٦٣)، فإن العبادَ لا يطَّلعون على حقيقة ذلك.

ومن ذلك -أعني محدثات الأمور-:

ما أحدثه المعتزلة ومَن حَذَا حَذوَهُم، مِن الكلام في ذات (٦٤) الله تعالى

---

(٦٣) رواه عن **علي**: الآجري في الشريعة (٤٢٢) و(٥٤٧) والاسناد تالف.

ورواه الطبراني في الكبير (١٠٦٠٦) **عن ابن عباس** بإسناد مظلم

روي عن طاوس اليماني التابعي: «إِنَّ الْقَدَرَ سِرُّ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَا تَدْخُلَنَّ فِيهِ» [الشريعة للآجري ٥٣٥ / الإبانة ١٩٩٣]

ورواه ابن بطة (١٢٨٢) عن يحيي بن معاذ الرازي ت٢٥٨هـ

ورواه اللالكائي مرفوعا (١١٢٢) وقال المحقق نشأت بن كمال المِصري: ضعيف

وحاصل الأمر أن هذا الكلام لا يقوى أن يثبت موقوفًا أو مرفوعًا، ولكن تتابع العلماء على روايته، وحكايته، مما يدل على أن له أصل، ولا ينكره سني. قال البربهاري: «والكلام والجدل والخصومة في القدر خاصة منهي عنه عند جميع الفرق؛ لأن القدر سر الله» [شرح السنَّة ٦٧ ص٨٠]

(٦٤) يريد: في نَفسِ الله تعالى، أما كلمة الذات فمتداولة، لكنها لم ترد في الكتاب والسنَّة

=

وصفاته بأدلة العقول [٦٥] وهو أشد خطرًا من الكلام في القَدَر، لأن الكلام في القدر كلامٌ في أفعاله، وهذا كلام في ذاته وصفاته.

وانقسم هؤلاء إلى قسمين:

أحدهما: من نفى كثيرًا مما ورد به الكتابُ والسنةُ من ذلك؛ لاستلزامه عنده التشبيهَ بالمخلوقين، كقول المعتزلة: لو رُؤِيَ لكانَ جسما، لأنه لا يُرَى إلا في جهة، وقولِهِم: لو كان له

بهذا المعنى، ولا تصح في أصل اللغة بهذا المعنى، فإنها مؤنث «ذو» لكنهم تتابعوا على ذكرها، ولي بحث بعنوان «كلمة الذات ونسبتها لله تعالى»

(٦٥) كما فعلت الجهمية، ومن تابعها من معتزله، وأشعرية، وماتريدية، وإباضية، ورافضة، فإنهم يثبتون نعوتًا لله تعالى بآرائهم، وينفون عنه ما ثبت في الكتاب والسنة بآرائهم، كقولهم: «إذا أثبتنا لله يدا فستكون كأيدي المخلوقين» و «إذا أثبتنا له وجها فيكون له أجزاء ستهلك، ويبقى الوجه» وغير ذلك من كلام شبيه، ثم أثبتوا له صفات من رأيهم، كالقديم، والمخالفة للحوادث، وهي وإن كان شيء من معناها صحيح، إلا أنها لم ترد في الكتاب والسنة.

كلامٌ يُسمع لكان جِسمًا [٦٦].

---

[٦٦] قال رسول الله ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ - عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا «قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قَالَ: «لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بُعْدٍ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ» رواه أحمد (١٦٠٤٢) وقال العراقي: «رواه أحمد بإسناد حسن» [تخريج أحاديث الإحياء ج٦ص٢٦٩٠] واحتج به البخاري في "خلق أفعال العباد" (ص٤٠) ورواه الحاكم برقم (٣٦٨٣) وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وعلَّق الذهبي عليه: «صحيح»

وهذا الحَديثُ لمَّا سمعه جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه، اشترى بعيرا وسافر شهرًا إلى الشَّام ليسمعه من عبد الله بن أُنَيْسٍ الذي سمعه من فم النبي ﷺ.

وقال بعض الجهمية: قد يكون الصوت: صوت غيرِ الله. وتعِسَت الجهمية، فمَن غيرُ الله يقول يوم القيامة «أنا المَلِك، أنا الدَّيَّان»؟!

فلا يخلو قائله هذه العِبارة من أن يكون هو الله، أو مُدَّعٍ للألوهيَّة كافرٌ كفِرعون.

قال عثمان الدارمي: «وَقَدْ كَسَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَلَى رَغْمِ أُنُوفِهِمْ فَقَالَ: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ لَا يَسْتَحِقُّ مَخْلُوقٌ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَذَا، فَإِن ذَلِكَ كَانَ كَافِرًا، كَفِرْعَوْنَ» [نقض المريسي ج١ص١٦٥] قلت: فكيف تجرأ الجهمي أن يدعي أنَّ مخلوقا يقول «أنا الملك، أنا الديان» في الآخرة ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ فالحمد لله على العافية.

روى حرب الكرماني وعبد الله بن أحمد بن حنبل عن مُحَمَّدِ بْنِ أَعْيَنَ قَالَ: سَمِعْتُ

=

النَّضْرَ بْنَ مُحَمَّدٍ، يَقُولُ: «مَنْ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾: مَخْلُوقٌ؛ فَهُوَ كَافِرٌ»، فَجِئْتُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: «صَدَقَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَافَاهُ اللَّهُ، مَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُ أَنْ نَعْبُدَ مَخْلُوقًا». [مسائل حرب ج٣ص٣٤٢ / السنة لعبد الله ١٩ و٢٠]

وحاول الجهمية تضعيف ذلك الأثر الذي فيه ذكر الصوت لأنَّه من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل، فقلت:

أولا: عبد الله بن محمَّد بن عقيل مختلف في ضبطه، قال الذهبي: «وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: سَمِعْتُ مُحَمَّدًا يَقُوْلُ: كَانَ أَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ، وَالحُمَيْدِيُّ يَحْتَجُّوْنَ بِحَدِيْثِهِ» [سير أعلام النبلاء ج٦ص٢٠٥] وذكر عن يحي بن سعيد، وابن خزيمة، وأبي حاتم، والفسوي، وغيرهم عدم الاحتجاج به. وقال الحاكم أبو أحمد: كان أحمد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم يحتجان بحديثه.

ثانيًا: إن كان الصوتُ لا يليقُ بالله تعالى، وهو تجسيم وضلال كما تزعمُ الجهميَّة، وإن سلَّمنا لكم بضَعفِ عبدِ الله بن عقيل، وأنه لم يضبط لفظ الحديث كما تزعمون؛ فهل هو جاهل بالله تعالى، وجاهل بما يليقُ بالله وما لا يليق بِه إذ جَوَّز على الله تعالى الصوت؟! وهل تجرؤون على القول بأنه مجسِّم؟ وعبد الله بن عقيل هو ابن عم النبي ﷺ، وابن زينبَ بنِ علي بن أبي طالب، فأخبرونا مِمَّن تعلَّمَ التجسيم؟ مِن بيت النُّبوَّة الذي نشأ فيه، أم مِن شيوخه كأنس بن مالك، وابن عُمَر، والرُّبَيِّع بنتِ معوذ، وجابر بن عبد الله، وسعيد بن المسيب، وعطاء بن يسار؟ فرجُلٌ أولئك أهله وهؤلاء شيوخه سيجهل ربه، وينسب له ما لا يليق، وتعلمون أنتم؟

=

ثم هذا الحديث مرَّ على أئمة السَّلف، ونقلوه، وسطروه في مصنَّفاتهم، فهل كانوا يَروون وينقلون الكفر ويسكتون، ويتركون التحذير منه، حتَّى ظهرت الجهمية والمعتزلة فحذَّروا مِنه؟

ثم لو افترضنا أنه أخطأ في حديثه، وأنَّ نِسبَة الصوت لله تعالى كانت مِن عِندِه، فها نحنُ نُسنِد إليه، وهو شيخنا في إثبات الصوت، فمن شيخكم في نفي الصوت؟ إن قلتم: أرسطو؛ خبتم، وإن قلتم: الجهم؛ خسرتم، وإن قلتم: إبليس؛ فوالله إن أسانيدَكم إليه لمتصلة، ﴿فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾

ثالثًا: عبد الله بن عقيل لم ينفرد به، بل له متابِع، كما قال ابن حجر في تغليق التعليق (ج٥ص٣٥٦): «وَقد وجدت لعبد الله بن مُحَمَّد بن عقيل مُتَابعًا فِيهِ» ثم ذكر ما رواه الطبراني في مسند الشاميين (١٥٦) وذكر اسانيده

فالحديث صحيح لا شكَّ فيه، رواه أهل السنَّة، وأثبتوا ما فيه.

وهاكم بيان المُتابَعة:

أحمد في المسند (١٦٠٤٢)			حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ	أَخْبَرَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى	عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَكِّيِّ	عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ	عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ	عَبْدِ اللهِ بْنِ أُنَيْسٍ
الطبراني في الشاميين (١٥٦)	حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ جَرِيرٍ الصُّورِيُّ	ثنا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الصَّيْدَاوِيُّ	ثنا سُلَيْمَانُ بْنُ صَالِحٍ	ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ ثَابِتِ بْنِ ثَوْبَانَ	عَنِ الْحَجَّاجِ بْنِ دِينَارٍ	عَنْ مُحَمَّدٍ الْمُنْكَدِرِ		
أحمد بن مروان الدينوري. المجالسة وجواهر العلم (٢٢٢٣)		حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ غَالِبٍ	نَا ثَوْبَانُ بْنُ سَعِيدٍ الرَّبْعِيُّ	عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ الْعَبَّادَانِيِّ	عَنِ الْفَضْلِ بْنِ عِيسَى الرَّقَاشِيِّ			

ووافقهم مَنْ نفى الاستواء [٦٧] فنفوه لهذه الشبهة، وهذا طريق المعتزلةِ والجهميةِ، وقد اتفق السلفُ على تبديعهم وتضليلهم، وقد سَلَكَ سبيلَهم في بعض الأمور كثيرٌ ممن انتسب إلى السنة والحديث مِنَ المتأخرين [٦٨].

والثاني: من رام إثبات ذلك [٦٩] بأدلة العقول التي لم يَرِد بها الأثر، وردَّ على أولئك مقالتَهم، كما هي طريقة مقاتل بن

---

[٦٧] أي كذلك مَن نفى الاستواء؛ قال بقولهم أنه سيكون جسمًا إذا استوى.

وقد أجمع المسلمون على إثبات الاستواء بلا تحريف، وقد نقلتُ ذلك الإجماع عن عشرين عالمًا على مر العصور في رسالة سميتها «إجماع المسلمين على أن الله تعالى في السماء على عرشه»

[٦٨] المُراد بالمتأخِّرين: المتأخرون زمانًا، وهم مَن عاش في القرن الخامس تقريبًا ومَن بعدهم.

[٦٩] الصِّفات.

سليمان (٧٠) ومن تابعه كنوحِ بنِ أبي مريم (٧١) وتابعهم طائفة من المحدثين قديمًا وحديثًا. وهو أيضًا مَسلَكُ الكَرَّامِيَّة (٧٢).

فمنهم من أثبت -لإثبات هذه الصفات- الجسمَ، إما لفظًا، وإما معنى.

ومنهم من أثبت للَّه صفاتٍ لم يأت بها الكتاب والسنة،

---

(٧٠) متوفى عام ١٥٠هـ. سمَّاه الذَهبي «كبير المفسرين» قلت: فلا تكاد تجد تفسيرا لم ينقل عنه. قَالَ ابْنُ المُبَارَكِ: «مَا أَحْسَنَ تَفْسِيْرَهُ لَوْ كان ثقةً!» يعني في الحديث. وقال الذهبي: «أجمعوا على تَركه» أي: ترك التحديث عنه.

ونسب إليه أبو الحسن الأشعري وغيره ممن صنَّف في الفِرَق مقالات شنيعة جدًا في التجسيم والإرجاء. وبرأه منها الشهرستاني، وهناك من توقَّف بحاله.

(٧١) هو تلميذ لمقاتل، ولأبي حنيفة، متوفى عام ١٧٣هـ، كذَّاب في الحديث، نسبوه إلى الإرجاء، لكن لم أجد مما نُسب إليه مما يتعلق بالصفات إلا ما قاله أبو تُمَيْلَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ نُوحَ بْنَ أَبِي مَرْيَمَ أَبَا عِصْمَةَ كَيْفَ كَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ قَالَ: «مُشَافَهَةً» [السنة لعبد الله بن أحمد ٥٤٧] فهذا اللفظ الذي أثبته بلا دليل.

(٧٢) أتباع محمدِ بنِ كَرَّامٍ السِّجِسْتَانِيِّ، وكان مُرجئًا وهو صاحب المقالة بأن من قال الشهادتين بلسانه؛ صار مؤمنا. ونسبوه إلى التشبيه. وطرده عثمان الدارمي مِن هراه لسوء ديانته.

كالحركة وغير ذلك مما هي عنده لازم الصفات الثابتة [٧٣]. وقد أنكر السلف على مقاتلٍ قولَه في رده على جهم بأدلة العقل [٧٤]، وبالغوا في الطعن عليه، ومنهم من استحل قتله، منهم مكيُّ بن إبراهيم شيخ البخاري [٧٥] وغيره.

والصواب ما عليه السلف الصالح من إمرار آيات الصفات وأحاديثِها كما جاءت، من غيرِ تفسيرٍ لها[٧٦]، ولا

---

[٧٣] يريد أن هناك من أثبت لله تعالى الحركة، لأن إثبات النزول، والمجيء يلزم منه إثبات الحركة، مع كون الحركة ليست واردة في الكتاب والسنَّة.

[٧٤] لأن طريقة السَّلف هي الرد عليهم بالحديث والأثر. أما الرد بالكلام والنظر، فإنه طريق مُظلِمَة، لأن المُفَوَّه فيها أقدر على الانتصار وإن كان على باطل، كما أن الذين خاضوا بهذا وقعوا بأخطاء، وقالوا كلاما لا ينبغي.

[٧٥] لمَّا مات مقاتل كان عُمرُ مكي بن إبراهيم أربع وعشرون سنة، فلعل الشيخ وَهِم، فإنَّ استباحة دمه رويت عن الكلبي [المجروحين ج٣ص١٥] وعن خارجة بن مُصعب [تاريخ بغداد ج١٥ص٢٠٧]

[٧٦] **التفسير**: كقول القائل: «العين: هي الرعاية، واليد: هي القدرة» وما شابه.

وقد غلط قومٌ وقالوا أن عدَمَ التَّفسير هو عدم فهم المعنى، وهذا ادعاءٌ ظاهر البطلان.

تكييف[٧٧]، ولا تَمثِيل[٧٨]، ولا يَصح عن أحد منهم خلافُ ذلك ألبتة، خصوصًا الإمام أحمد، ولا خوضَ في معانيها، ولا ضربَ مَثَلٍ من الأمثالِ لها، وإن كان بعضُ مَن كان قريبًا من زمن الإمام أحمد فيهم من فعل شيئًا من ذلك اتباعًا لطريقة مقاتل فلا يقتدى به في ذلك، إنما الاقتداء بأئمة الإسلام كابن

---

(٧٧) **التكييف**: كقول الفخر الرزي الأشعري (صاحب التفسير): «كونه في السماء يقتضي كون السماء محيطا به من جميع الجوانب، فيكون أصغر من السماء، والسماء أصغر من العرش بكثير، فيلزم أن يكون الله تعالى شيئا حقيرا بالنسبة إلى العرش» [في تفسيره لـ ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ﴾] نعوذ بالله من قوله.

قال ابن المبارك: «إِنَّا نَسْتَجِيزُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَلَا نَسْتَجِيزُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْجَهْمِيَّةِ» [رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" (٢٣)] قلت: لشناعة كلامهم، كما رأيتم.

(٧٨) **التمثيل**: كقول البوطي: «إذا قلنا ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ إذن فكأننا نقول أن لله يدًا، وإذا قلنا إن لله يدًا، فإننا لا تعلم إلا هذه» ورفع يده وقال: «هذه هي اليَد» [شرح كبرى اليقينيات الكونية، الدرس رقم ٨ فيديو]

المبارك [٧٩]، ومالك [٨٠]، والثوري [٨١]،

---

[٧٩] **عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى**، المتوفى ١٨١هـأخذ العلم عن الأعمش، وشريك النخعي، وشعبة بن الحجَّاج، والأوزاعي، والليث بن سعد، ومالك بن أنس، وخلقٌ كثير.

وأخذ عنه: سعيد بن منصور، وعثمان بن أبي شيبة، ونُعَيم بن حماد، ويَحيي القَطَّان، ويحيي بن معين، وخلقٌ كثير.

عن شعيب بن حرب: «ما لقي ابن المبارك رجلا إلا وابن المبارك أفضل منه» وقال ابن حبان في "الثقات": «كان فيه خصال لم تجتمع في أحد من أهل العلم في زمانه في الأرض كلها»

[٨٠] **هو مالك بن أنس**، إمام أهل المدينة، توفي عام ١٧٩هـ.. نُقِل عن الشافعي أنه قال: «إذا جاء الأثر فمالكٌ النجم» ولهذا كان عدد من أهل العلم يسمونه: «نجم السنن» ومِن شيوخه: أبو الزِّناد، وأيوب السَّختياني، وجعفر الصَّدِق، وعبد الله بن دينار، ونافع مولى ابن عمر، وابن شهاب الزُّهري، وخلق.

وممن أخذ عنه: سعيد بن منصور، وشُعيب بن حَرب، وعبد الله بن مَسلمة القَعنَبي، والأوزاعي، ووكيع بن الجراح، ويحيي القطَّان، وخلق.

[٨١] **هو سفيان الثوري**، توفي عام ١٦١هـمن كبار أتباع التابعين، أخذ العلم عن: أيوب السَّختياني، والأعمش، وشُعيب بن حَرب، وأبي الزِّناد، وأبي إسحاق السَّبيعي، وخَلق كثير. وقرأ على الكِسَائي.

=

والأوزاعي[٨٢]، والشافعي [٨٣]،

وأخذ عنه: سفيان بن عيينة، والفضل بن دُكَين، وفُضَيل بن عِياض، ومالك بن أنس، ووكيع بن الجرَّاح، ويحي القطَّان، ويوسف بن أسباط، وخلق كثير.

(٨٢) **عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي**، إمام أهل الشَّام، توفي عام ١٥٧ هـ في بيروت. أخذ العلم عن الأعمش، وعبد الرحمن بن القاسم، وقَتَادَة بن دَعَامَة السَّدُوسي، ومحمد بن سيرين، ومكحول الدِّمشقي، وخلق كثير.

وأخذَ عنه: أبو إسحاق الفَزَاري، وإسماعيل بن عيَّاش، وسفيان الثَّوري، وشُعبة بن الحجَّاج، ومحمد بن يوسف الفِريابي، والمعافى بن عِمران، ويحي بن سعيد القطان، وخلق كثير.

قال إسماعيل بن عياش: سمعت الناس في سنة أربعين ومِئة يقولون: «الأوزاعي اليوم عالم الأمة» وقال الأحنف بن قيس: «بَلَغ الثوري مقدم الأوزاعي، فخرج حتى لقيه وأخذ رسَنَ بعيره، وسار به، فإذا مر بجماعة، قال: الطريق للشيخ» قال الذهبي: «وكان له مذهب مستقل مشهور، عمل به فقهاء الشام مدة، وفقهاء الأندلس، ثم فني»

(٨٣) **محمد بن إدريس الشَّافعي**، المتوفى عام ٢٠٤هـ. أخذ العِلم عن: سفيان بن عيينة، وعبد العزيز الماجشون، ومالك بن أنس، وهشام بن يوسف الصّاغاني، ويحي بن خالد التِّنِّيسي، والفضيل بن عِياض، وخلق غيرهم.

وأخذ عنه: إسماعيل بن يحي المُزَني، والربيع بن سليمان، وعبد الله بن الزُّبير الحُمَيْدي، والقاسِم بن سلَّام، وهارون بن سعيد الأيْلي، وأبو يعقوب البُوَيْطِي.

=

وأحمد [٨٤]، واسحاق [٨٥]،

جاء عن أحمد بن حنبل أنه قال عن الشَّافعي: «كان كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس» وقال: «مَا أَحَدٌ مَسَّ مِحْبَرَةً وَلاَ قَلَمًا إِلاَّ وَلِلشَّافِعِيِّ فِي عُنُقِه مِنَّةٌ»

(٨٤) **أحمد ابن حنبل الشَّيباني**. المتوفى عام ٢٤١هـ. تلقى العلم عن سفيان بن عيينة، وأبي داود الطيالِسي، والفضل بن دُكَيْن، والشَّافِعي، ومُعتَمِر بن سُلَيمان، ووكيع بن الجرَّاح، ويحيي بن سعيد القطَّان، وخلق كثير.

وأخذَ عنه العِلمَ: البخاري، ومُسلِم، وأبو داود، وإسحاق الكَوسَج، وبقي بن مَخلَد، وحَرب الكِرماني، وعثمان بن سعيد الدارمي، وأولاده: صالح، وعبد الله، وخلق كثير.

قال قتيبة بن سعيد: «لولا الثوري، لمات الورع، ولولا أحمد، لأحدثوا في الدين، أحمد إمام الدنيا» وقال الشافعي: «خرجت من بغداد، فما خلفت بها رجلا أفضل، ولا أعلم، ولا أفقه، ولا أتقى من أحمد بن حنبل»

(٨٥) **هو إسحاق بن إبراهيم ابن راهُوْيَهْ**، توفي عام ٢٣٨هـ، أخذ العلمَ عن: اسماعيل بن عُليَّة، وبِشر بن المُفَضَّل، وحفص بن غياث، وسعيد بن عامر الضُّبَعِي، وسفيان بن عُيَينة، وعبد الله بن المبارك، وعبد الرَّحمن بن مهدي، والنَّضر بن شُمَيْلٍ، وخلق كثير.

وأخذ عنه: البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنَّسائي، وإسحاق الكَوسَج، ويحيي بن آدَم، وخلق.

قال وهب بن جرير: «جزى الله إسحاق بن راهويه، وصَدَقَة بن الفضل، وَيَعْمَرَ عن الإسلام خيرا، أحيوا السنة بالمشرق»

وأبي عبيد (٨٦)، ونحوهم (٨٧).

وكل هؤلاء لا يوجد في كلامهم شيء من جنس كلام المتكلمين (٨٨)، فضلا عن كلام الفلاسفة، ولم يُدخِل ذلكَ في كلامِه مَن سلم مِن قَدحٍ وجَرحٍ، وقد قال أبو زرعة الرازي: كُلُّ

---

(٨٦) **هو أبو عبيد، القاسِم بن سَلَّام**، المتوفى عام ٢٢٤هـ. أخذ العلم عن شَرِيْكَ بن عبد الله النَّخَعي، وإسماعيل بن عيَّاش، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المُبَارَك، وسَعيد بن عبد الرحمن الجُمَحِيَّ، وخلق كثير، وقرأ على الكِسَائي.

وأخذ عنه العلم: ابن أبي الدنيا، والحارث بن أسامة، ومحمد بن يحي المَروَزِي، وأبو بكر الدارمي، وأبو منصور الصَّاغاني، وخَلق.

عن حمدان بن سهل: سألتُ يحي بن معين عن الكتبة، عن أبي عبيد، فقال -وتبسم-: «مِثلي يُسأل عن أبي عبيد؟! أبو عبيد يسأل عن الناس، لقد كنت عند الأصمعي يوما، إذ أقبل أبو عبيد، فشق إليه بصره حتى اقترب منه، فقال: أترون هذا المقبل؟! قالوا: نعم. قال: لن تضيع الدنيا ما حيي هذا»

(٨٧) ممن ذكرنا من شيوخهم وتلاميذهم. وقد تعمدت ذِكر أهم أسماء شيوخهم وتلاميذهم، لكي يعرِفَ القارئ بعض علماء السَّلف المعتبرين.

(٨٨) **المتكلمون**: هم الفِرَق التي أخذَت أصول الاعتقاد مِن علمِ الكلام، وهو نوع مِن الفلسَفَة المُطَوَّرة، ومِن هذه الفِرَق: الجهمية، والمعتَزلة، والأشعرية، والماتريديَّة، والرَّافضة، والإباضيَّة.

مَن كان عنده علم فلم يصن علمه واحتاج في نشره إلى شيء من الكلام؛ فلستُم مِنه.[٨٩]

ومن ذلك -أعني محدثات العلوم-:

ما أحدثه فقهاء أهل الرأي [٩٠]

من ضوابطَ وقواعدَ عقليةً ورد فروعِ الفقه إليها. وسواءٌ أخالَفَتِ السُّنَنَ أم وافقتها طردًا لتلك القواعد المقررة، وإن كان أصلَها مما تأولوه على نصوص الكتاب والسنة، لكن بتأويلاتٍ يخالفهم غيرُهم فيها، وهذا هو الذي أنكره أئمة الإسلام على مَن أنكروه مِن فقهاء أهل الرأي بالحجاز والعراق، وبالغوا في

---

[٨٩] هذا في سؤالات البرذعي (٤٧٦) كنا عند أبي زُرْعَة، فاختلف رجلان من أصحابنا ... فأقبل عليهما أبو زُرْعَة يوبخهما، وقال لهما: «من كان عنده علم، فلم يصنه، ولم يقبض عليه، والتجأ في نشره إلى الكلام، فما في أيديكما منه شيء»

[٩٠] **أهل الرَّأي**: هم مؤسسو وأتباع المذهَب الحنفي.

ذَمِّه وإنكاره [٩١].

فأما الأئمة وفقهاء أهل الحديث فإنهم يتَّبعون الحديثَ الصحيح حيث كان، إذا كان معمولا به عند الصحابة ومن

---

(٩١) وردت في ذلك آثار، منها:

قال مالك بن أنس عن إمام أهل الرَّأي: ما ظنكم برجل لو قال: «هذه السارية من ذهب» لقام دونها -أو قال- لَقَايَسَكم عليها حتى يجعلها من ذهب، وهي من خشب أو حجارة» قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: «يعني أنه كان يثبت على الخطأ ويحتج دونه ولا يرجع إلى الصواب إذا بان له» [مناقب الشافعي لابن أبي حاتم ص ١٦٢ / مناقب الشافعي للبيهقي ج١ص١٧١ / نشر الصحيفة ص٣٦٦]

وقال حرب الكِرماني: «**هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المعروفين** بها المقتدى بهم فيها، وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج من الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق، وهو مذهب أحمد وإسحاق بن إبراهيم بن مخلد، وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور، وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم فكان من قولهم: ... وأصحاب الرأي والقياس في الدين مبتدعة جهلة ضُلّال» [مسائل حرب ج٣ص٩٧٧]

بعدهم [٩٢] أو عند طائفة منهم [٩٣]، فأما ما اتفق على تركه فلا يجوز العمل به لأنهم ما تركوه إلا على علم أنه لا يُعمَل به. قال عمر بن عبد العزيز: «خذوا من الرأي ما يوافق من كان قبلكم فإنهم كانوا أعلم منكم» [٩٤]

فأما ما خالف عمل أهلِ المدينة من الحديث، فهذا كان مالكٌ يرى الأخذَ بعمل أهل المدينة [٩٥].

---

[٩٢] لأن تركهم للعَمَل به إمَّا أن يكون دلالة على أنهم ثبت عندهم نَسخُه أو تَخصِيصه، أو دلالة على عِلة قادحة في صحَّته، أو أن العَمَل بِه يكون على صورَة غير التي ظنَّها الناظِر إليه.

[٩٣] فإن عمل طائفة مِن السَّلَف بِه يكفي، حتى لو خالفتهم طائفة أخرى، لأنه قد لا يبلغ الطائفة الأخرى، أو كان في فهمه خِلاف بينهم، وهذا لا يُبطل العمل به. وهذا الذي يسمَّى بالخلاف المعتبر، أما الخلاف الذي ينشأ في العصور المتأخرة خِلافا للسَّلَف فهو خلاف مردود.

[٩٤] رواه أبو نعيم في الحلية (ج٥ص٢٧٠ / ج٥ص٣١٥) بلفظ: «خُذُوا مِنَ الرَّأْيِ مَا يُصَدِّقُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَلَا تَأْخُذُوا مَا هُوَ خِلَافٌ لَهُمْ، فَإِنَّهُمْ خَيْرٌ مِنْكُمْ وَأَعْلَمُ»

[٩٥] وجهة نظر مالك في هذا الأمر بيَّنها في رسالته للَّيث بن سعد، فقال: «فإنما الناس تَبَعٌ

=

لأهل المدينة، إليها كانت الهجرة وبها نزل القرآن وأُحل الحلال وحُرم الحرام إذ رسول الله بين أظهرهم يحضرون الوحي والتنزيل ويأمرهم فيطيعونه ويسن لهم فيتبعونه، حتى توفاه الله واختار له ما عنده صلوات الله عليه ورحمته وبركاته.

ثم قام مِنْ بعدِهِ أَتْبَعُ الناس له مِن أمته مِمَّن وَلِيَ الأمر مِن بعده، فما نَزَل بِهِم مما علموا؛ أنفذوه، وما لم يكن عندهم فيه علم؛ سألوا عنه، ثم أخذوا بأقوى ما وجدوا في ذلك في اجتهادهم وحداثة عهدهم، وإن خالفهم مخالف، أو قال امرؤ: غيره أقوى منه وأولى؛ تُرِكَ قَولُه، وعُمِلَ بغيره.

ثم كان التابعون مِن بعدِهِم يسلكون تلك السبيل، ويتبعون تلك السنن.

فإذا كان الأمر بالمدينة ظاهرًا معمولًا به؛ لم أر لأحد خلافَه؛ للذي في أيديهم من تلك الوِراثة التي لا يجوز لأحد انتحالها ولا ادعاؤها. [المعرفة والتاريخ للفسوي ج١ص٦٩٦ / ترتيب المدارك، للقاضي عياض ج١ص٤٢]

وقال الشافعي في رد هذا الاحتجاج: «وُلَاةَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ كَانُوا يَقْضُونَ بِآرَائِهِمْ وَيُخَالِفُونَ فُقَهَاءَهُمْ وَأَنَّ فُقَهَاءَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ كَانُوا يَخْتَلِفُونَ فَيَأْخُذُ أُمَرَاؤُهُمْ بِرَأْيِ بَعْضِهِمْ دُونَ بَعْضٍ» [الأم ج٧ص٢٧٤]

وقال الشَّافعي: «إِذَا وَجَدْتَ مُتَقَدِّمِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَلَى شَيْءٍ فَلا يَدْخُلْ فِي قَلْبِكَ شَيْءٌ أَنَّهُ الْحَقُّ» [مسند الجوهري ٤١ / حلية الأولياء ج٩ص١٢٨ / الخلافيات للبيهقي ٢٠٢٦ / غرائب مالك لابن المظفر ١١٧ رووها بأسانيد متعددة عن يونس بن عبد الأعلى عن الشافعي]

والأكثرون أخذوا بالحديث [٩٦].

ومما أنكره أئمة السلف:

الجدال والخصام والمراء في مسائل الحلال والحرام أيضًا، ولم يكن ذلك طريقة أئمة الإسلام، وإنما أحدِث ذلك بعدهم، كما أحدثه فقهاء العراقيين في مسائل الخلاف بين الشافعية والحنفية [٩٧]، وصنفوا كتب الخلافَ، ووسعوا البحث والجدال فيها، وكلُّ ذلك مُحدَث لا

---

[٩٦] قال أحمد: قال لي الشافعي: «أنتم أعلم بالحديث منا فإذا صح الحديث فقولوا لنا حتى نذهب إليه» [ذم الكلام، للهروي ٣٩٦]

وقال أحمد: «كان الشافعي إذا ثبت عنده الخبر قلده» [الآداب الشرعية ج١ص٢٢٠ / سير أعلام النبلاء ج١٠ص٢٦]

وقال أحمد: «إذا جاء الحديث الصحيح الإسناد، يقال: هو سنة، إذا لم يكن له شيء يدفعه أو يخالفه» [الجامع لعلوم الإمام أحمد ج٥ص٩٢]

[٩٧] قال سفيان الثوري: «مَرَرْتُ بِأَبِي حَنِيفَةَ وَهُوَ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي الْمَسْجِدِ وَقَدِ ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ فَقُلْتُ: يَا أَبَا حَنِيفَةَ هَذَا الْمَسْجِدُ، وَالصَّوْتُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ فِيهِ، فَقَالَ: دَعْهُمْ لَا يَتَفَقَّهُونَ إِلَّا بِهَذَا» [رواه عبد الله بن أحمد في «السنّة» ٣٤١]

أصلَ له، وصار ذلك عِلمَهُم، حتى شغلهم ذلك عن العلمِ النافعِ، وقد أنكر ذلك السلف.

وورد في الحديث المرفوع في السنن: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ، ثم قرأ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾» (٩٨)

وقال بعضُ السلف: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَتَحَ لَهُ بَابَ الْعَمَلِ، وَأَغْلَقَ عَنْهُ بَابَ الْجَدَلِ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ شَرًّا فَتَحَ لَهُ بَابَ الْجَدَلِ، وَأَغْلَقَ عَنْهُ بَابَ الْعَمَلِ» (٩٩).

وقال مالك: «أدركتُ هذه البلدة وإنَّهم لَيَكرهون الإكثارَ

---

(٩٨) رواه الترمذي (٣٣٠٦) وقال: «هذا حديث حسن صحيح» ورواه ابن ماجه (٤٨) وأحمد (٢٢٢١٨) والحاكم (٣٦٧٤) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» وعلَّق الذهبي: صحيح، وقال الألباني: حسن، وقال شعيب: حديث حسن بطرقه وشواهده.

(٩٩) رواه الخطيب البغدادي في «اقتضاء العلم العمل» (١٢٣) عن **معروف الكرخي**. ونحوه عن **الأوزاعي** (١٢٢)

الذي فيهِ النَّاس اليومَ» [١٠٠] يريدُ المسائلَ [١٠١]

وكان يعيبُ كثرةَ الكلامِ وكثرةَ الفتيا، ويقول: «يتكلمُ أحدهم كأنَّهُ جملٌ مُغْتَلِمٌ [١٠٢]، يقولُ: «هوَ كذا، هوَ كذا» يَهْدِرُ [١٠٣] في كلامهِ»

وكان يكره الجواب في كَثرة المسائل ويقول: «قال الله عز وجل ﴿وَيَسأَلونَكَ عَنِ الرّوحِ قُلِ الرّوحُ مِن أَمرِ رَبّي﴾ فلم يأته في ذلك جواب

وقيل له: «الرجلُ يكونُ عالمًا بالسُّنن يُجادل عنها؟» قال:

---

[١٠٠] رواه محمد بن مخلد في كتابه "ما رواه الأكابر عن مالك بن أنس" (٥٣)

[١٠١] المسائل قد تكون ابتداءً، كأن يتكلم الشخص بفروعٍ كثيرة، ويستخرج لها أحكامًا، أو تكون طلبًا، بأن يسأل السَّائل عن أشياء لا تنفع، كما سُئِل مالك: عن رجل نَكَحَ دجاجةً ميتة، فخرجت منها بيضة، فَفَقست البيضة، فهل يحل له أكل الفَرخ؟ فقال مالك: «سل عمَّا يكون، ودع ما لا يكون» [الموافقات ص٣٣٢]

وقول: «يريد المسائل» هو قول ابن وهب، كما في جامع بيان العلم (٢٠٦٢)

[١٠٢] المغتلم: الهائج مِن الشَّهوة.

[١٠٣] **الهدر**: هو الباطل. وقد تكون مِن الهَذر، بالذال، وهو الكلام الذي لا قيمة له.

«لا، ولكن يخبر بالسُّنَّةِ، فإنْ قُبِلَ منه، وإلاّ سكت»

وقال: «المراء والجدال في العلم يذهب بنور العلم»

وقال: «المِرَاء [١٠٤] في العلم يُقسي القلب ويورِّث الضغن»

وكان يقول في المسائل التي يُسأل عنها كثيرًا: «لا أدري»

وكان الإمام أحمد يسلك سبيله في ذلك.

وقد ورد النهي عن كَثرة المسائل، وعن أُغلوطات المسائل [١٠٥]، وعن المسائل قبل وقوع الحوادث [١٠٦]، وفي

---

[١٠٤] **المِراء**: هو الجَدَل المُصاحِب للطعن بقول الطرف الآخر وتصغيره.

[١٠٥] **الأغلوطات**: هي المسائل التي يُراد بها استخراج جواب خطأ من المسؤول. وهي من صنف الأحاجي، والألغاز. كما لو قال لك قائل: «رجل صلى صلاة فريضة بدون وضوء فهل تقبل صلاته؟» وهو يريد أن الرجل اغتسل غُسل الجنابة قبل الصلاة، فصلاته صحيحة على الراجح، وظاهر السُّؤال قد يجر المسؤول إلى القول بأن الصلاة لا تصح.

[١٠٦] كمن يسأل في زماننا مثلًا: كيف نخرِج الزَّكاة، إذا صار كل النَّاس أثرياء؟ وهذا أمر غير متحقق، وليس من الأمور التي تشير المُعطيات الدنيويَّة إلى وقوعه قريبًا، فمثل

=

ذلك ما يطول ذكره.

ومع هذا ففي كلام السلف والأئمة كمالك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق = التنبيهُ على مآخذ الفقه [١٠٧]، ومدارك الأحكام [١٠٨]، بكلام وجيزٍ مختصر، يُفهم به المقصود، من غير إطالة ولا إسهاب، وفي كلامهم مِن رد الأقوال المخالفة للسنة بألطف إشارة وأحسنِ عبارة، بحيثُ يغني ذلك مَن فَهِمَه عن إطالة المتكلمين في ذلك بعدهم، بل ربما لم يتضمن تطويلُ كلام مَن بعدهم مِن الصَّواب في ذلك ما تضمنه كلامُ السلف والأئمة مع اختصاره وإيجازه [١٠٩]، فما سكت مَن سكت مِن كثرةِ الخصامِ والجدالِ مِن سلفِ الأمة جهلا ولا عجزًا، ولكن سكتوا عن علم وخَشية لله. وما تكلم من تكلم، وتوسَّع مَن توسَّع

هذا لا يصح التشاغل به، لكن لو أشارت المعطيات إلى وقوع أمر ما، كعاصفة ترابية في مكة، فسأل من يريد الذهاب إلى الحج عن حكم تغطية الوجه في الإحرام إذا جاءت العاصفة، فمثل هذا لا يدخل في النهي.

[١٠٧] **المأخذ**: ما يؤخذ منه الحكم، وهي مصادر التشريع، كالكتاب، والسنة، والإجماع.

[١٠٨] **مدارك الأحكام** هي المحل الذي يُدرَك مِنه الحكم.

[١٠٩] والاختصار مع الفائدة لا يستطيعه كل أحد، فهذا يدل على إتقان السلف رحمهم الله.

بعدهم لاختصاصه بعلم دونهم، ولكن حبًا للكلام وقلة ورع [١١٠]، كما قال: الحسن -وسمِع قوما يتجادلون-: «هؤلاء قوم ملوا العبادة، وخف عليهم القول، وقلَّ ورعُهم فتكلموا» [١١١]

وقال مهدي بن ميمون: سمعتُ محمدَ بنَ سيرين - وَمَارَاهُ رجلٌ، فَفَطِن له- فقال: «إني أعلمُ ما تُريد، إني لو أردتُ أن أُماريَك؛ كنتُ عالِمًا بأبواب المِراء» وفي رواية قال: «أنا أعلَمُ بالمِراءِ منك، ولكني لا أُماريك» [١١٢]

وقال إبراهيم النَّخَعِيُّ: «مَا خَاصَمْتُ قَطُّ» [١١٣]

---

[١١٠] الخلَف مِنهُم مَن طوَّل كلامَه لشرح كلام السلف لِمَن قصُر عن فهمه، أو للتفصيل في رد شبهات أهل المبتدعة، ومنهم مَن فيه هذا الوصف.

[١١١] رواه أحمد في الزهد (١٥٤٦) وأبو نعيم في الحِلية (ج٢ص١٥٦) بلفظ: «وَاللَّهِ مَا هَؤُلَاءِ إِلَّا قَوْمٌ مَلُّوا الْعِبَادَةَ وَوَجَدُوا الْكَلَامَ أَهْوَنَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَمَلِ وَقَلَّ وَرَعُهُمْ فَتَكَلَّمُوا» ورواه ابن أبي الدُّنيا في الورع (٢١٥) بلفظ قريب

[١١٢] رواه الفِريابي في القدر (٣٧٩) بإسناد حسن صحيح.

[١١٣] رواه ابن بطة في الإبانة (٦٣١ / ٦٣٢) واسناده صحيح

وقال: عبد الكريم الْجَزَرِيَّ: «مَا خَاصَمَ وَرِعٌ قَطُّ» [١١٤]

وقال: جعفر بن محمد: «إِيَّاكُمْ وَالْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ فَإِنَّهَا تُشْغِلُ الْقَلْبَ، وَتُورِثُ النِّفَاقَ» [١١٥]

وكان عمر بن عبد العزيز يقول: «إذا سَمِعتَ المِرَاء فأقصِر» [١١٦]

وقال: «مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ» [١١٧]

وقال: «إِنَّ السَّابِقِينَ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا،

---

[١١٤] رواه الآجري في "الشريعة" (١٢٣) وابن بطة في "الإبانة" (٦٣٤) وإسناده حسن

[١١٥] رواه اللالكائي (٢١٩)

[١١٦] رواه ابن بطة في الإبانة (٦٤٤) و(٦٥١) والهروي في ذم الكلام (٨١٢) وهو حسن بمجموع طُرُقِه.

[١١٧] رواه مالك في الموطأ (برواية محمد بن الحسن ٩١٨) بإسناد صحيح وكذا رواه الدارمي في سننه (٣١٢) بإسناد آخر قال عنه حسين سليم أسد: «صحيح»

وَكَانُوا هُمْ أَقْوَى عَلَى الْبَحْثِ لَوْ بَحَثُوا» (١١٨)

وكلام السلف في هذا المعنى كثيرٌ جدًا

وقد فُتِنَ كثير من المتأخرين بهذا فظنوا أن من كثر كلامُه وجِدالُه وخِصامُه في مسائل الدين؛ فهو أعلم ممن ليس كذلك، وهذا جَهل مَحض. وانظر إلى أكابر الصحابةِ وعلمائهم كأبي بكر، وعمر، وعلي، ومعاذ، وابن مسعود، وزيد بن ثابت كيف كانوا، كلامهم أقلُّ من كلامِ ابن عباس وهم أعلمُ منه (١١٩)، وكذلك كلامُ التابعين أكثر من كلام الصحابة، والصحابةُ أعلم منهم، وكذلك تابعوا التابعين كلامُهُم أكثر من كلام التابعين، والتابعون أعلمُ منهم. فليس العِلمُ بكثرة الرِّوَاية، ولا بكثرة

---

(١١٨) رواه أبو داود بلفظ قريب (٤٦١٢) صحيح. واللفظ الذي أثبته المؤلف قريب مما رواه ابن بطة في الإبانة (١٦٣) إلا أن الذي فيه: «وَلَمْ يَبْحَثُوا»

(١١٩) ابن عبَّاسٍ طال عمره، وعاصر أناسًا بحاجة إلى علمه فتكلم، بينما الصحابة الذين توفوا قبله كانوا في زمان أقرب إلى زمن النبوة، والصحابة فيه أكثر. واستدلال الشيخ صحيح، فكثرة كلامه وحديثه النافع رضي الله عنه لا يعني أنه أوسع علمًا من الصحابة الذين سبقوه في الصحبة والفضل كأبي بكر وعمر.

المَقال، ولكنه نور يُقذَف في القلب [١٢٠]، يَفهم به العبدُ الحق، ويميز به بينه وبين الباطل، ويعبِّر عن ذلك بعبارات وجيزة محصِّلة للمقاصد.

وقد كان النبي ﷺ أُوتيَ جوامع الكَلِم واختُصِرَ له الكلام

---

(١٢٠) روي مثل هذا عن مالك «لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ، إِنَّمَا الْعِلْمُ نُورٌ يَضَعُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُلُوبِ» رواه الجوهري في مسند الموطأ: «لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ، إِنَّمَا الْعِلْمُ نُورٌ يَضَعُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُلُوبِ» [مسند الموطأ للجوهري ١٤] وشاهد هذا الكلام قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾

وأصل هذا النور كتابُ الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فالله تعالى يهدي به مَن اتَّبع، ويَضِلُّ به مَن ابتدع ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

فلابد من الحِرص على الاتباع، فالتعلم وحده لا يكفي.

قال كعب الأحبار: «عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ فَهْمُ الْعَقْلِ، وَنُورُ الْحِكْمَةِ، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ، وَأَحْدَثُ الْكُتُبِ بِالرَّحْمَنِ عَهْدًا» رواه الدارمي (٣٣٧٠) قال حسين سليم أسد: «إسناده حسن»

اختصارًا [١٢١] ولهذا ورد النهي عن كثرة الكلام والتوسع في القيل والقال [١٢٢]

وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ الله لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا مُبَلِّغًا، وَإِنَّ تَشْقِيقَ الْكَلَامِ مِنَ الشَّيْطَانِ» [١٢٣] يعني أن النبي إنما يتكلم بما

---

[١٢١] قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ» رواه البخاري (٧٠١٣) ومسلم (٥٢٣)

وقال البخاري: **وَبَلَغَنِي أَنَّ جَوَامِعَ الكَلِمِ**: أَنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ الأُمُورَ الكَثِيرَةَ، الَّتِي كَانَتْ تُكْتَبُ فِي الكُتُبِ قَبْلَهُ، فِي الأَمْرِ الوَاحِدِ، وَالأَمْرَيْنِ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ

وعنه ﷺ: «وَاخْتُصِرَ لِي الْحَدِيثُ اخْتِصَارًا» روي هذا بأسانيد مختلفة كل واحد منها ضعيف، وقد يُحَسن بمجموعها.

[١٢٢] قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاَثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ» رواه البخاري (١٤٧٧) ومسلم (١٧١٥)

[١٢٣] **تشقيق الكلام**: أَيِ التَّطَلُّب فِيهِ لِيُخْرِجَه أَحْسَنَ مَخْرج. [النهاية في غريب الحديث ج٢ص٤٩٢]

رواه عبد الرزاق (٢١١٢٨) وهو ضعيف. وروى أحمدُ حديثا صحيحًا قريبًا منه، وفيه محل الشَّاهد. قال ﷺ: «يا أيها الناس، قولوا بقَوْلِكم، فإنما تشقيقُ الكلامِ من الشيطان، إنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا» المسند (٥٦٨٧) صححه أحمد شاكر، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين. ورواه ابن حبان في صحيحه (٥٧١٨)، وقال الألباني: صحيح.

يحصل به البلاغ، وأما كثرة القول وتشقيق الكلام فإنه مذموم.

وكانت خُطَبُ النبي ﷺ قَصدًا [١٢٤]، وكان يُحَدِّث حديثًا لو عدَّه العادُّ لأحصاه وقال: «إن من البيان سحرًا» [١٢٥] وإنما قاله في ذم ذلك، لا مدحًا له كما ظَن ذلك من ظنه، ومن تأمَّل سياق ألفاظ الحديث قطع بذلك [١٢٦]

وفي التِّرمِذِيِّ وغيره عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «إنَّ اللَّهَ ليُبغِضُ البَليغَ مِن الرِّجالِ الذي يَتَخلَّلُ بلِسانه كَمَا تَتَخَلَّلُ

---

[١٢٤] **قصدًا**: بتوازُن، يحصل به المقصود، لا قصيرا مخِلًّا، ولا طويلًا مُمِلًّا.

[١٢٥] جزء من الحديث السابق. وجاء مفردا هكذا في صحيح البخاري (٥٧٦٧) وجاء عند مسلم (٨٦٩): «إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا»

[١٢٦] قال ابن فارِس: **فَالسِّحْرُ**، قَالَ قَوْمٌ: هُوَ إِخْرَاجُ الْبَاطِلِ فِي صُورَةِ الْحَقِّ، وَيُقَالُ هُوَ الْخَدِيعَةُ فَالسِّحْرُ، قَالَ قَوْمٌ: هُوَ إِخْرَاجُ الْبَاطِلِ فِي صُورَةِ الْحَقِّ، وَيُقَالُ هُوَ الْخَدِيعَةُ، وَسمي السحر سحرًا، لِأَنَّهُ مَصْرُوف عَن جِهَته، وَمِنْه قَوْله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾، أَي: تُصرَفون عَن الْحق، وَقَوله عز وَجل: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا رَجُلا مَسْحُورًا﴾ أَي: مصروفا عَن الْحق.

البَقَرَةُ بِلِسَانها»[١٢٧] وفي المعنى أحاديث كثيرة مرفوعة وموقوفة على عمرَ، وسعدٍ، وابن مسعودٍ، وعائشةَ، وغيرِهم من الصحابة.

فيجبُ أن يُعتقَد أنه ليس كلُّ مَن كثر بسطُهُ للقول، وكلامُه في العلم؛ كان أعلمَ ممن ليس كذلك.

وقد ابتُلينا بجهلة من الناس يعتقدون في بعض مَن توسَّع في القول مِن المتأخرين؛ أنه أعلم ممن تقدم، فمنهم من يَظن في شخص أنه أعلمَ من كلِّ من تقدم من الصحابة ومن بعدهم؛ لكثرةِ بيانِه ومقاله، ومنهم من يقول: هو أعلم من الفقهاء المشهورين المتبوعين. وهذا يلزم منه ما قبله؛ لأن هؤلاء الفقهاء المشهورين المتبوعين أكثرُ قولا ممن كان قبلهم، فإذا كان مَن بعدَهم أعلمَ منهم لاتساع قوله؛ كان أعلمَ ممن كان أقلَّ منهم قولًا بطريق الأَولى، كالثوري، والأوزاعي، والليث، وابن المبارك، وطبقتهم، وممن قبلَهم من التابعين والصحابة أيضًا، فإن هؤلاء كلهم أقل كلامًا ممن جاء بعدهم. وهذا تنقص عظيم بالسلف

---

[١٢٧] رواه أبو داود (٥٠٠٥) وقال الأرنؤوط: إسناده حسن. ورواه الترمذي (٣٠٦٧) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ» وقال الألباني: «صحيح»

الصالح، وإساءة ظن بهم، ونسبتُهُ لهم إلى الجهل وقصور العلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولقد صدق ابن مسعود في قوله في الصحابة أنهم «أَبَرُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعْمَقُهَا عِلْمًا، وَأَقَلُّهَا تَكَلُّفًا» [١٢٨]. وروي نحوه عن ابن عمر أيضًا [١٢٩]. وفي هذا إشارة إلى أن مَن بعدَهم أقلُّ علومًا وأكثرُ تكلفًا.

وقال ابن مسعود أيضًا: «إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ كَثِيرٌ عُلَمَاؤُهُ، قَلِيلٌ خُطَبَاؤُهُ، وَسَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ قَلِيلٌ عُلَمَاؤُهُ، كَثِيرٌ خُطَبَاؤُهُ» [١٣٠] فمن كثر علمه وقل قوله فهو الممدوح ومن كان

---

[١٢٨] رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٨١٠) واسناده فيه ضعف، وفي العادة يقبل مثله في مثل هذه الأخبار، إلا أن الكلام نفسه مروي عن **الحسن البصري** بإسناد قوي عند الآجري (١١٦١) فيبدو لي أن حسن بن إسماعيل الضَّراب (الذي روى ابن عبد البر من طريقه) أخطأ فيه، فقد ضعفه الدارقطني.

[١٢٩] رواه أبو نعيم في الحِلية (ج١ص٣٠٥) واسناده تالف يُنمَى إلى الحسن البصري عن ابن عمر، والأصح كما في التعليق السابق أنه عن الحسن.

[١٣٠] (صحيح) رواه عبد الرزاق (٣٨٣٠)، وزهير بن حرب في "العلم" (١٠٩) والطبراني في الكبير (٨٥٦٦)

بالعكس فهو مذموم.

وقد شهد النبي ﷺ لأهل اليمن بالإيمان والفقه [١٣١].
وأهلُ اليمنِ أقلُّ الناس كلامًا وتوسُّعًا في العلوم، لكنَّ علمَهم علمٌ نافع في قلوبهم، ويُعَبرون بألسنتهم عن القَدْر المُحتاج إليه مِن ذلك، وهذا هو الفقه والعلم النافع.

فأفضل العلوم في تفسير القرآن، ومعاني الحديث، والكلامِ في الحلال والحرام = ما كان مأثورًا عن الصحابة والتابعين وتابعيهم، إلى أن ينتهي إلى أئمة الإسلام المشهورين المقتَدَى بهم الذين سمَّيناهم فيما سبق.
فضَبطُ ما روي عنهم في ذلك أفضلُ العِلمِ، مع تفهُّمِهِ وتعَقُّلِه والتَّفَقُّهِ فيه.

وما حدث بعدَهم مِن التَّوسع لا خيرَ في كثير منه، إلا أن

---

[١٣١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا، الإِيمَانُ يَمَانٍ وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ» رواه البخاري (٤٣٨٨) ومسلم (٥٢) وعنده «الْفِقْهُ يَمَانٍ»

يكون شرحًا لكلام يتعلق مِن كلامِهم [١٣٢].

وأما ما كان مخالفًا لكلامهم فأكثره باطل أو لا منفعة فيه. وفي كلامهم في ذلك كفايةٌ وزيادة، فلا يوجد في كلام مَن بعدهم من حق إلا وهو في كلامهم موجود بأوجَز لفظ وأخصر عبارة، ولا يوجد في كلام من بعدَهم من باطلٍ إلا وفي كلامهم ما يُبَيِّن بُطلانه لمن فهمه وتأمله، ويوجد في كلامهم من المعاني البديعة والمآخذ الدقيقة مالا يهتدى إليه مَن بعدَهم، ولا يُلِم يه.

فمن لم يأخذ العلمَ مِن كلامِهم؛ فَاتَه ذلك الخيرُ كلُّه، مع ما يقع في كثير من الباطل متابَعَةً لِمَن تأخر عنهم.

ويحتاج من أراد جَمْعَ كلامهم إلى معرفةِ صحيحه من

---

[١٣٢] لعله قصد: بكلامهم.

سقيمه [١٣٣]، وذلك بمعرفة الجرح والتعديل [١٣٤] والعِلَل [١٣٥] فمَن لم يعرف ذلك؛ فهو غير واثق بما ينقله من ذلك، ويلتبس عليه حقه بباطله، ولا يثق بما عِنده من ذلك. كما يُرَى مَن قلَّ علمه بذلك، لا يثق بما يُروى عن النبي ﷺ، ولا عن السلف؛ لجهله بصحيحه من سقيمه، فهو لجهله يُجَوِّز أن يكونَ كلُّه باطلًا؛ لعدم معرفتِه بما يُعرف به صحيحُ ذلك وسقيمُه.

قال الأوزاعي: «العلمُ ما جاءَ به أصحابُ محمدٍ ﷺ، فما كان غيرَ ذلكَ فليس بعلمٍ» [١٣٦] وكذا قال: الإمام أحمد، وقال: «في التابعين أنت مخير» [١٣٧] يعنى مخير في كتابته وتركه. وقد كان

---

[١٣٣] **السقيم**: هو الضَّعيف.

[١٣٤] وهو العلم الذي يُعرَف به حالُ رواة الأخبار، مِن حيث ضبطُهم للأخبار، وأمانتهم في نقلها.

[١٣٥] وهو العِلم الذي يُعرَف به الخطأ في الحديث، أو في إسناده، إذا جاء ذلك الخطأ مِن الثِّقات.

[١٣٦] جامع بيان العلم وفضله (١٤٢٠)

[١٣٧] قال أبو داود: سمعت **أحمد** يقول: «الاتباع: أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه، ثم هو مِن بعدُ في التابعين مخيَّر» [مسائل أبي داود ١٧٨٩]

الزُهري يكتب ذلك، وخالفه صالح بن كَيْسَان، ثم ندم على تركه كلامَ التابعين.

وفي زماننا يتعين كتابة كلام أئمة السلف المقتدى بهم، إلى زمن الشافعيِّ وأحمدَ وإسحاقَ وأبي عبيد، ولْيَكن الإنسان على حذر مما حَدَثَ بعدَهم، فإنه حدث بعدهم حوادثُ كثيرة، وحدثَ من انتسب إلى متابعة السنةِ والحديثِ من الظاهرية ونحوهم، وهو أشدُّ مخالفةَ لها لشذوذه عن الأئمة، وانفرادِهِ عَنهم بفهم يفهمه، أو يأخذ ما لم يأخذْ به الأئمةُ مِن قبله.

فأما الدخول مع ذلك في كلام المتكلمينَ أو الفلاسفة فَشَرٌّ محض، وقَلَّ مَن دخل في شيء من ذلك؛ إلا وتلطخ ببعض أوضارهم [١٣٨] كما قال: أحمد: «لا يخلو مَن نظرَ في الكلام من أن

---

[١٣٨] **الوَضَرُ**: الدَّرَنُ والدَّسَمُ. قال ابْنُ سِيدَهْ: الوَضَرُ وسَخُ الدسمِ وَاللَّبَنِ وغُسالَةُ السِّقاء وَالْقَصْعَةِ وَنَحْوِهِمَا. [لسان العرب]

يتجهَّم» (١٣٩) وكان هو وغيره من أئمة السلف يُحذرونَ من أهل الكلام وإن ذَبُّوا عن السنة (١٤٠)

وأما ما يوجد في كلام مَن أحبَّ الكلامَ المُحدثَ واتبع أهلَه مِن ذم مَن لا يَتوسَّع في الخُصومات والجِدال، ونسبتِه إلى الجهل، أو إلى الحشو (١٤١)، أو إلى أنه غير عارف بالله، أو غير

---

(١٣٩) رواه ابن بطة في الإبانة (٦٧٤) و(٤٠٣) «مَنْ تَعَاطَى الْكَلَامَ لَمْ يُفْلِحْ، وَمَنْ تَعَاطَى الْكَلَامَ لَمْ يَخْلُ مِنْ أَنْ يَتَجَهَّمَ»

(١٤٠) **كلمة السُّنَّة** يراد بها :

تارة: الانضباط في مسائل الإيمان والمنهج، وهذا المُراد في الغالب فِي كُتب الإيمان.

وتارة: الحديث النَّبوي، وهذا مستخدَم في كتب أصول الفقه.

وتارة: الأعمال المُستحبَّة، وهذا في الغالب مستخدم في كتب الفِقه.

وتارة: يراد بها ما يُقابِل التَّشَيُّع، وهذا في الغالب في كتب المِلَل والنِّحَل.

(١٤١) **نسبته إلى الحشو**: أي يقال عنه حَشوي. وهذا كان يطلقه الجهميَّة على أهل السنَّة، ولا يزالون. ومعنى الكلمة كما قال الفراهيدي: «والحشو من الكلام: الفَضْلُ الذي لا يُعْتَمَدُ عليه. والحَشْوُ من النّاس: من لا يُعْتَدُّ به» [معجم العين]

قال نشوان اليمني المتوفى (٥٧٣هـ): «وإِنما سُمِّيَت الحشوية لكثرة روايتها للأخبار،

=

عارف بدينه = فكل ذلك مِن خطوات الشيطان، نعوذ بالله منه.

ومما أُحدِثَ من العلوم: الكلامُ في العلوم الباطنة مِن المعارِف وأعمالِ القُلوب وتوابِع ذلك بمجرد الرأيِ[١٤٢] والذوقِ[١٤٣]

وقبولها ما ورد عليها من غير إنكار» [شمس العلوم ج٣ص١٤٥٢] فإذا كانت أحاديث النبي ﷺ وكلام السَّلف حشوًا، ونحن حشويَّة لأننا نأخذ بها مِن غير إنكار، فيا حبَّذا هذا الحشو، ومَن أراد أن يعيب أهل السنة بها؛ فقد عاب نفسه قبل أن يعيبنا.

وقال ابن البنا الحنبلي (المتوفى ٤٧١هـ) أن عمرو بن عُبيد (وهو من رؤوس المعتزلة) كان يقول «كان ابن عمر حشوياً» [المختار في أصول السنّة ج١ص٩١]

(١٤٢) وهو أن يتكلَّم في الشريعة برأيه.

(١٤٣) **الذَّوق عِند الصوفيَّة**: إما دَرَجَة يصل إليها الصوفي، وليس هذا المقصود، أو «نور عِرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه» [معجم مصطلحات الصوفية للحنفي ص١٠٤] قلت: هَدَمَ اللهُ كلَّ بدعة، آمين.

=

أو الكَشْفِ[١٤٤]، وفيه خطرٌ عظيم، وقد أنكره أعيانُ الأئمةِ كالإمام أحمد وغيرِه.

وكان أبو سليمان يقول: «إنه لتَمُرُّ بي النُّكتةُ[١٤٥] من نُكَتِ

ومن التفسير بالذَّوق: ما قال ابن عربي (الصوفي) في قول ربنا تعالى: ﴿أنتم الفقراء إلى الله﴾ قال: «ففي هذه الآية تَسَمَّى الله بكل شيء يُفْتَقَرُ إليه» ثم قال: «وهذا الذَّوق عزيز» [الفتوحات ج١ص٢٢٨ ط. دار الكتب العربية] قلت: ونحن نفتقر إلى الحِذاء، والمنديل، وكثير من الأشياء، فتعالى الله عما يقول الظالمون، وإنما الآية تثبت فقرنا وحاجتنا إلى الله تعالى، لا أن الله تسمَّى بكل ما نفتقر إليه -تقدس الله عن ذلك-.

(١٤٤) **الكشف عندهم**: نوع من علم الغيب. قال أبو حامد الغزالي (وهو صوفي): «فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإلهام» [إحياء علوم الدِّين] وقال: «فإن الكشف أنفع من الرواية والنقل» [ج٤ص٢٤٦]، وقال القشيري (الصوفي): «مقام الكشف الذي يستغنى به عن الاستدلال» [نقله الشعراني في الأنوار ج١ص٣٩] وقال صفي الشاذلي (الصوفي): «أخبرني قلبي عن ربي من طريق الإلهام الذي هو وحي الأولياء، وهو دون وحي الأنبياء» [مرشد الزوار إلى قبور الأبرار ج٢ص٨٥]

(١٤٥) **النُّكتَة**: الفائدة الدَّقِيقَة المُستخرجة مِن نَصٍّ ما. وهذا اصطلاح عند أهل العلم، والأصل في اللغة النُّقطة.

القومِ فلا أقبلُهَا إلا بشاهدين عدلين؛ الكتابُ والسنة» (١٤٦)

وقال الجُنَيْدُ: «عِلمُنا هذا مقيَّدٌ بالكتابِ والسنة، مَن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث؛ لا يُقتدى به في عِلمنا هذا»

وقد اتَّسَعَ الخَرْقُ في هذا الباب، ودخل فيه قومٌ إلى أنواعِ الزندقةِ والنفاقِ ودعوى أن أولياءَ اللهِ أفضلُ من الأنبياءِ (١٤٧)، أو أنهم مُستغنُونَ عنهم (١٤٨)، وإلى التنقصِ بما جاءت به الرسل

---

(١٤٦) أبو سليمان: هو الدَّاراني المتوفى ٢١٢هـ. وهذا رواه العلائي في «إثارة الفوائد» (١٥٢)

(١٤٧) كما قالوا عن أبي يزيد البسطامي: «تالله إن لوائي أعظم من لواء محمد ﷺ لوائي من نور تحته الجان والجن والإنس كلهم من النبيين» [لطائف المنن والأخلاق للشعراني ج١ص١٢٥]

وقال عبد الكريم الجيلي: «معاشرَ الأنبياء، أوتيتم اللَّقَب، وأوتينا ما لم تؤتَوه» [الإنسان الكامل للجيلي ج١ص١٢٤ / الجواب المستقيم لابن عربي ص٢٤٧] وادعوا انه قول عبد القادر الجيلاني، وهو منهم بريء.

(١٤٨) قال ابن عربي الطائي (الصوفي): «الرسل حَجَبَةٌ وهم يَدعُونَ إلى الله لا إلى أنفسهم، وقال: الملائكة حَجَبَةٌ بين الله وبين الرسل» ثم قال ما معناه أن الصوفية يصلون إلى البصيرة التي فسرها بأنها الأخذ عن الله دون واسطة، وهذا كلامه: «فقال: ﴿أَدْعُوا

=

من الشرائع (١٤٩) وإلى دعوى الحُلولِ (١٥٠) والاتحادِ (١٥١) أو القَولِ بوَحدةِ الوُجودِ (١٥٢)، وغيرِ ذلك مِن أصولِ الكفرِ والفسوقِ

إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ فزال المَلَك، ﴿أَنَا وَمن اتَّبَعَنِي﴾ فزال الرسول، قال أبو يزيد: «حدثني قلبي عن ربي» فعنه أخذ» [الفتوحات ج٤ص٤١٢]

(١٤٩) كما نقل الغزالي عن أحد علماءهم: «وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الأحكام» [إحياء علوم الدين، للغزالي ج١ص١٠٠]

(١٥٠) **الحلول**: هو أن يملأ ربُّهم الفراغات التي في الكون، أو أنَّ الكون والمخلوقات تكون في داخل ربهم، تعالى الله عمَّا يصفون. وبعضهم يقول أن ربَّه دخل في مخلوق معيَّن، كما تقول الدُّروز أن ربهم حلَّ في جسد الحاكم بأمر الله. ولكن يرون ان ربهم من الممكن أن ينفصل عن الشيء الذي حلَّ فيه.

(١٥١) **الاتِّحاد**: مثل قول الحلولية، إلا أنهم يقولون أنَّ ربَّهم امتزج بالمخلوق فصارا شيئين في صورة واحدة كالسُّكَّر في الماء، لا ينفصلان. وهاتان الفرقتان: الحلوليَّة، والاتحاديَّة تقولان العبارة المشهورة: «الاله في كل مكان»

(١٥٢) **وحدة الوجود**: هؤلاء يقولون أن كل شيء هو إلهُهُم بنفسِه، فنحن وما نراه، كل ذلك تجليات لربِّهم. والعجيب انهم مع كفرهم يكفِّرونَ من يقول ان الخنزير -مثلا- غير الإله.

وقد نُسب لابن عربي قول: «ما الكلب والخنزير إلا إلهنا، وما الله إلا راهب في كنيسة» قال أحمد بن الصديق الغُماري: ولو قيل إنه قال: «إنّ الكلب والخنزير هو الله» لأمكن أن يكون لقوله وجهًا عند أهل الفنا في الشهود [الجواب المفيد ص٩٤]

والعصيانِ، كدعوى الإباحةِ وحِلِّ محظوراتِ الشرائع [١٥٣].

وأدخلوا في هذا الطريق أشياءَ كثيرةً ليست من الدين في شيء، فبعضُها زعموا أنه يحصُلُ به ترقيقُ القلوبِ، كالغِناءِ والرَّقصِ، وبعضُها زعموا أنه يُراد لرياضة النُّفوسِ [١٥٤] كعشق الصور المحرمة ونظَرِها [١٥٥]، وبعضُها زعموا أنه لكسر النفوس والتواضع كشهرة اللباس [١٥٦]، وغير ذلك مما لم تأت به الشريعة. وبعضُه يصد عن ذكر الله وعن الصلاة، كالغِناء والنظر إلى

---

[١٥٣] قال بعض الإسماعيلية من الشِّيعة: «من عرف الباطن فقد سقط عنه عمل الظاهر.... ورُفِعَت عنه الأغلال والأصفاد وإقامة الظاهر» [الهفت الشريف، للمفضل الجعفي ص٤٢ ط. دار الأندلس]

[١٥٤] بمعنى ترويضها، تذليلها، وجعلها سهلة مستجيبة.

[١٥٥] لا يُراد هنا ما نسميه اليوم بـ«الصورة» وإنما الأشياء، فكل شيء له صورة. والمقصود بالصُّور المحرمة: ما يثير الغرائز.

[١٥٦] اللباس الذي يشتهرون به. وهذا وردت كراهته عن السَّلَف، قال ابن أبي حاتم: «كان أحمد بن حنبل إذا رأيتَه تعلَمْ أنه لا يُظهر النسك، رأيتُ عليه نعلا لا يشبه نعل القُراء قال: أراد بهذا والله أعلم ترك التزين بزي القراء وإزالته عن نفسه ما يشتهر به» [مناقب أحمد لابن الجوزي ص٣٧٦]

المحرم، وشابَهوا بذلك ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾.

فالعلم النافعُ من هذه العلوم كلها:

ضبطُ نصوصِ الكتاب والسنة، وفهمُ معانيها، والتقَيُّدُ في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائلِ الحلالِ، والحرامِ، والزهدِ، والرقائقِ، والمعارفِ، وغيرِ ذلك، والاجتهادُ على تمييز صحيحِه من سقيمِه أولا، ثم الاجتهاد على الوقوف في معانيه وتَفَهُّمِه ثانيًا، وفي ذلك كفايةٌ لمن عَقَلَ وشُغلٌ لِمَن بالعلم النافع عُنِيَ واشتغل.

ومن وقف على هذا وأخلص القصد فيه لوجه الله عز وجل واستعان عليه؛ أعانَه وهداه ووفقه وسدده وفهَّمه وألهمه. وحينئذ يُثمِر له هذا العلم ثمرته الخاصة به، وهي خشية الله، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

قال ابنُ مسعود وغيرُه: «كَفَى بِخَشْيَةِ اللهِ عِلْمًا، وَكَفَى بِالاغْتِرَارِ بِاللهِ جَهْلًا» [(١٥٧)]

وقال بعض السلف: «ليسَ العلمُ بكَثرة الرِّواية، ولكن العلمَ الخشية» [(١٥٨)]

وقال بعضهم: «من خَشِيَ اللهَ؛ فهو عالم، ومن عصاه؛ فهو جاهل» [(١٥٩)]

[(١٥٧)] رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق، من رواية الحسين بن الحسن المروزي (٤٦) وابن ابي شيبة (٣٤٥٣٢) عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن جده، وبينهما انقطاع، ولكنه يُحتَمَل في مثل هذه الأخبار

وروي هذا عن **الفضيل بن عياض**، رواه ابن الأعرابي في معجمه (١٦٩١)

[(١٥٨)] رواه أحمد في الورع عن ابن مسعود (٢٨٢) بإسناد فيه انقطاع وإرسال، ورواه أبو نُعَيم في الحِلية (ج١ص١٣١) وفيه: «عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ لِي عَبْدُ اللهِ» وابن عون لم يُدرِك ابنَ مسعود. كما يتضح من التاريخ، وأثبَتَ عدم إدراكه له الترمذي والدارقطني [انظر جامع التحصيل ٥٩٨]

[(١٥٩)] روى الدارمي بإسناد ضعيف -كما قال حسين سليم أسد- عن ابن عباس: «مَنْ

=

وكلامهم في هذا المعنى كثير جدًا.

وسبب ذلك أن **هذا العلم النافع يدل على أمرين**:

أحدهما: على معرفة اللهِ، وما يستحقه مِن الأسماء الحُسنى، والصفات العُلى [١٦٠]، والأفعال الباهرة، وذلك يستلزم إجلالَه وإعظامَه وخَشيَتَه ومهابَتَه ومحبَّتَه ورجاءَه والتوكلَ عليه والرضى بقضائِه والصبرَ على بلائِه.

والأمرُ الثاني: المعرفةُ بما يحبه ويرضاه، وما يكرهُه ويسخطه من الاعتقادات، والأعمالِ الظاهرة والباطنة، والأقوال، فيُوجِب ذلك لمن علمه المسارعةُ إلى ما فيه محبةَ الله ورضاه، والتباعد عما يكرهه ويَسخَطُه، فإذا أثمر العلمُ

خَشِيَ اللَّهَ فَهُوَ عَالِمٌ» ومثله عن عطاء ضعيفا، في جامع بيان العلم (١٥٤٤)

روى البيهقي في شعب الإيمان (٦٦٧١) بإسناد جيد **عن مجاهد بن جبر**: «كُلُّ مَنْ عَصَى رَبَّهُ فَهُوَ جَاهِلٌ»

[١٦٠] تتابع العلماء على نعت الصِّفات بأنها "العُلى"، وليس ذلك في زمان السَّلَف، ولعل ذلك استنبطوه من قول الله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ كما جاء عن بعض المفسرين.

لصاحبه هذا؛ فهو عِلم نافع.

فمتى كان العلمُ نافعًا وَوَقَرَ في القلب؛ فقد خشع القلبُ للَّهِ، وانكسر له، وذلَّ هيبةً وإجلالًا وخشيةً ومحبةً وتعظيمًا. ومتى خشع القلب للَّه وذَلَّ وانكسر له؛ قنعت النفس بيسير الحلال من الدنيا وشبعت به، فأوجب لها ذلك القناعةَ والزهدَ في الدنيا وكلِّ ما هو فان لا يبقى من المال، والجاه، وفضول العيش الذي ينقص به حظُّ صاحبه عند اللهِ من نعيم الآخرة، وإن كان كريمًا على الله، كما قال ذلك ابنُ عمرَ وغيرُه من السلف، وروي مرفوعا. وأوجَبَ ذلك أن يكون بين العبد وبين ربه عز وجل معرفةٌ خاصة. فإن سأله أعطاه، وإن دعاه أجابه، كما قال في الحديث الإلـهي [١٦١]: «ومَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ» إلى قوله: «فَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي

---

[١٦١] وهي الكلام الذي نقله رسول الله ﷺ عن الله تعالى مِن غير القرآن. والتسمية المشهورة لها: الأحاديث القدسية.

لَأُعِيذَنَّهُ»(١٦٢) وفي رواية: «وَلَئِن دَعَانِيْ لَأُجِيْبَنَّهُ» (١٦٣)

وفي وصيته ﷺ لابن عباس: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ» (١٦٤)

فالشأن في أن العبدَ يكون بينَه وبين ربِّه معرفةٌ خاصة بقلبه، بحيث يجده قريبًا منه، يستأنس به في خلوته، ويجد حلاوة ذكره ودعائه ومناجاته وخدمته، ولا يجد ذلك إلا من أطاعه في سره وعلانيته.

كما قيل لِوُهَيْبِ بنِ الوَرد (١٦٥): «يجِدُ حَلاوَةَ الطَّاعَةِ مَن

---

(١٦٢) رواه البخاري (٦٥٠٥)

(١٦٣) رواه البزَّار (٥٧٥٠) بنفس إسناد البخاري.

(١٦٤) رواه الترمذي (٢٥١٦) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ» ورواه أحمد (٢٦٦٧) والحاكم بهذا اللفظ (٦٣٠٣). قال العُقَيلي: «وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْكَلَامُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، مِنْ غَيْرِ طَرِيقٍ، أَسَانِيدُهَا لَيِّنَةٌ، وَبَعْضُهَا أَصْلَحُ مِنْ بَعْضٍ» (الضعفاء ج٣ص٥٣) وصححه أحمد شاكر، والألباني، وشعيب الأرنؤوط.

(١٦٥) المتوفى ١٥٣هـ. وكان مُحَدِّثًا ثقة، معروفًا بالعبادة.

عَصَى؟» قال: «لا، ولا مَن هَمَّ» [١٦٦]

ومتى وجَدَ العبدُ هذا؛ فقد عرف ربَّه، وصار بينه وبينه معرفةٌ خاصة، فإذا سأله؛ أعطاه، وإذا دعاه، أجابه، كما قالت شِعْوانَةُ [١٦٧] لفضيلٍ: «أما بينَكَ وبين ربِّكَ ما إذا دعوتَه أجابَك؟» فغشِيَ عليه [١٦٨].

والعبدُ لا يزال يقع في شدائدَ وكربٍ في الدنيا، وفي البرزخ، وفي الموقف، فإذا كان بينه وبين ربه معرفةٌ خاصة؛ كفاه الله ذلك كلَّه، وهذا هو المشار إليه في وصية ابن عباس بقوله ﷺ: «تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ» [١٦٩]

---

[١٦٦] رواه ابن الأعرابي في معجمه (٧٠٧) قال «نا محمد بن عبد الله المخزومي» ولم أعرفه. فالمشهور بهذا الاسم هو أبو الحسن السلامي، المتوفى ٣٩٣هـ، وابن الاعرابي توفي ٣٤٠هـ. ورواه أبو نعيم في الحِلية (ج٨ص١٤٤) بإسناد صحيح.

[١٦٧] عُرِفَت بكثرة العبادة والبكاء.

[١٦٨] (موضوع) رواه أبو نعيم في الحِليَة (ج٨ص١١٣) من طريق "النضر بن سلمة" -وهو وضَّاع- ورواه عن رجل مجهول.

[١٦٩] راجع الحاشية (١٦٤).

وقيل لمَعروف [١٧٠]: «ما الذي هيَّجَك إلى الانقطاع؟» وذُكِرَ له الموت، والقبر، والموقف، والجنة، والنار، فقال: «إن مَلِكًا هذا كله بيده؛ إذا كانت بينك وبينه معرفةٌ؛ كفاك هذا كلَّه»

فالعِلم النافع: ما عُرِفَ بين العبد وربِّه، ودله عليه حتى عرَف ربَّه، ووحده، وأنِسَ به، واستحيي من قربه، وعبده كأنه يراه.

ولهذا قالت طائفة من الصحابة: «إن أول عِلم يُرفَعُ مِن الناسِ: الخشوع» [١٧١]

وقال ابن مسعود: «إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ

---

[١٧٠] **معروف الكرخي**. متوفى ٢٠٤هـ. كان مشهورًا بالزهد والعبادة.

[١٧١] منهم عُبَادة بن الصامت، وشدَّاد بن أوس.

أما عن عُبادة، فرواه الدارمي في السنن (٢٩٦) والترمذي (٢٦٥٣) وإسناده يقبل في مثل هذه الأخبار.

وأما عن شداد، فرواه أحمد (٢٣٩٩٠) والحاكم (٣٣٧) وقال: «هَذَا صَحِيحٌ وَقَدِ احْتَجَّ الشَّيْخَانِ بِجَمِيعِ رُوَاتِهِ» وعلَّق الذهبي: «صحيح احتجا برواته» ورواه ابن حِبان في صحيحه (٤٥٧٢)

تَرَاقِيَهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ؛ نَفَعَ» (١٧٢)

وقال: الحسن: «العِلمُ عِلمَان: فعِلمٌ على اللسَانِ، فذلك حُجَّةُ اللهِ على ابن آدم، وعِلمٌ في القَلبِ، فذلِكَ العِلمُ النَّافِعُ» (١٧٣)

---

(١٧٢) رواه مسلم (٨٢٢)

(١٧٣) هو عن الحسن عن رسول الله ﷺ مرسلًا. وإسناده الى الحسن ضعيف، فلم يروه عن الحسن إلا هشام بن حسَّان، وهو لم يسمع منه إلا صغيرًا، وكان يروي كلامه من كتاب حوشب.

رواه ابن أبي شيبة (٣٤٣٦١) من طريق عبد الله بن نمير عن هشام بن حسان عن الحسن. ورواه الحكيم الترمذي في النوادر (٩٨٦) من طريق الفضيل بن عياضٍ، عن هشامٍ، عن الحسن. ورواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٧٣٥) من طريق أبي معاوية، عن هشام، عن الحسن. وقال العراقي: «أخرجه التِّرْمِذِيّ الْحَكِيم فِي النَّوَادِر وَابْن عبد الْبر من حَدِيث الْحسن مُرْسلا بِإِسْنَاد صَحِيح»

ورواه الدارمي في السنن (٣٧٦) قال: «أَخْبَرَنَا مَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ» وقال حسين سليم اسد: «إسناده صحيح إلى الحسن وهو موقوف عليه» قلت: لا يصح ما سبق، ووقفه على الحسن شاذ والله أعلم، فقد رواه عن هشام ثلاثةٌ ثقاتٌ كلهم جعلوه مرفوعًا مرسلًا.

وجاء في كتاب الزهد لابن المبارك، من زيادات الحسين المروزي (١١٦١) وفي اسناده

=

وكان السلف يقولون: «إن العلماءَ ثلاثةٌ: عالمٌ بالله عالمٌ بأمر الله، وعالم بالله ليس بعالم بأمره، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله، وأكملهم الأول وهو الذي يخشى الله ويعرف أحكامه. (١٧٤)

فالشأنُ كله في أن العبدَ يستدِل بالعلمِ على ربِّه؛ فيعرفه، فإذا عرف ربَّه؛ فقد وجده منه قريبًا، ومتى وجده منه قريبًا؛ قرَّبَه إليه وأجاب دعاءه، كما في الأثر الإسرائيلي: «ابنَ آدم! اطلبني تجدْني، فإن وجدتني؛ وجدت كل شيء، وإن فُتُّكَ؛ فاتَكَ كلُّ شيء، وأنا أحبُّ إليكَ من كلِّ شيء»

خطأ. ووصله إسماعيل الصفار في جزءه (٥٥٩) من طريق يوسف بن عطية، وهو متروك.

(١٧٤) قال الدارمي في مسنده (٣٧٥) : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، عَنْ سُفْيَانَ قَالَ: كَانَ يُقَالُ: «الْعُلَمَاءُ ثَلَاثَةٌ»...الخ

ورواه ابن معين في تاريخه (٢٦٢٤) عن سفيان عَن أبي حَيَّان التَّيْمِيّ قَالَ: «الْعلمَاء ثَلَاثَة...»

وكان ذو النُّونِ [١٧٥] يردد هذه الأبيات بالليل:

اُطلُبوا لِأَنفُسِكُم مِثلَ ما وَجَدتُ أَنا
قَد وَجَدتُ لِي سَكَنًا لَيسَ في هَواهُ عَنا
إِن بَعُدتُ قَرَّبَني أَو قَرُبتُ مِنهُ دَنا [١٧٦]

وكان الإمام أحمد -رحمه الله- يقول عن معروف: «مَعَه أصلُ العَلم: خشيةُ اللّهِ» [١٧٧]

فأصلُ العلم بالله: الذي يوجب خشيتَه ومحبتَه والقربَ منه والأنسَ به والشوقَ إليه، ثم يتلوه: العلمُ بأحكام الله، وما يحبه ويرضاه من العبد؛ من قول أو عمل أو حال أو اعتقاد؛ فمن تحقق بهذين العِلمين؛ كان علمُه عِلمًا نافعًا، وحصل له العلمُ

---

[١٧٥] هو **ثَوبان بن إبراهيم**، المعروف بـ«ذي النون المِصري» واعظ زاهد، لقي مالكًا، والليثَ وبعض أهل هذه الطبقة.

[١٧٦] حلية الأولياء (ج٩ص٣٤٤)

[١٧٧] عن عبد اللَّه بن أحمد: قلت لأبي: «هل كان مع معروفَ شيءٌ من العلم؟» قال: «يا بُنَي كان معه رأس العلم: خشية اللَّه» [تاريخ بغداد ج١٣ص٢٠١ / طبقات الحنابلة ج٢ص٤٧٩]

النافعُ، والقلب الخاشع، والنفس القانعة، والدعاء المسموع، ومن فاته هذا العلمُ النافعُ؛ وقع في الأربع التي استعاذ منها النبي ﷺ(١٧٨)، وصار علمُه وَبالا وحجةً عليه، فلم ينتفع به؛ لأنه لم يخشع قلبه لربه، ولم تشبع نفسه من الدنيا، بل ازداد عليها حرصًا، ولَهَا طلبًا، ولم يُسمَع دعاؤه؛ لِعَدم امتثالِه لأوامر ربه، وعدم اجتنابه لما يَسخطه ويكرهه. هذا إن كان علمه علمًا يمكن الانتفاع به وهو المُتَلَقَّى عن الكتاب والسنة، فإن كان مُتلقى من غير ذلك؛ فهو غير نافع في نفسه، ولا يمكن الانتفاع، به بل ضَرُّهُ أكثر من نفعه.

وعلامة هذا العلم الذي لا ينفع أن يُكسِبَ صاحبَه الزُّهو والفَخر والخُيَلَاء، وطلبَ العلوِ والرفعةِ في الدنيا، والمنافسةَ فيها، وطلبَ مباهاةِ العلماء ومُمَاراةِ السفهاء، وصرفِ وجوهِ الناس إليه، وقد ورد عن النبي ﷺ أن من طلب العلم

---

(١٧٨) قال ﷺ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا» رواه مسلم (٢٧٢٢)

لذلك «فالنار النار» (١٧٩)

وربما ادَّعى بعضُ أصحاب هذه العلومِ معرفةَ اللهِ وطلبَه والإعراض عما سِواه، وليس غرضهم بذلك إلا طلبَ التقدمِّ في قلوب الناس من المُلوكِ وغيرِهِم، وإحسانَ ظنهم بهم، وكثرةَ أتباعهم، والتعظمَ بذلك على الناس.

---

(١٧٩) **(حسن)** ونصه: «لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلَا لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلَا تَخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارُ النَّارُ» وفي الرواية الأشهر: «مَنْ طَلَبَ العِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ العُلَمَاءَ أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ»

له أربعة أسانيد، عن أربعة من الصحابة، كلها شديد الضعف، إلا عند ابن ماجه (٢٥٤) فإنه مُقارِب، ويحسَّن بباقي الطرق. وقال شعيب الأرنؤوط: «حسن لغيره، رجاله ثقات رجال الصحيح لكن فيه عنعنة ابن جريج وأبي الزبير» ورواه اب حِبَّان في صحيحه (٧٧) والحاكم (٢٩٠)

وقد جاء عن عبد الرحمن بن مهدي أنه كان يقول: «ماذا روينا في الثواب والعقاب وفضائل الأعمال تساهلنا في الاسناد وسمحنا في الرجال، وإذا روينا الحلال والحرام والاحكام تشددنا في الاسانيد وانتقدنا الرجال» [المدخل إلى الإكليل ص٤] ولا يُفهَم مِن التساهل أنه تهاون، بل كما ورد عن سفيان بن عيينة: «خُذِ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ مِنَ الْمَشْهُورِينَ فِي الْعِلْمِ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَمِنَ الْمَشْيَخَةِ» [المحدث الفاصل ص٤٠٦]

وعلامةُ ذلك: إظهار دعوى الوَلايَة [١٨٠] كما كان يدعيه أهل الكتاب [١٨١]، وكما ادعاه القرامِطة [١٨٢] والباطنية ونحوهم، وهذا بخلافِ ما كان عليه السلف من احتقار نفوسهم وازدرائِها باطنًا وظاهرًا [١٨٣]، وقال عُمر: «وَمَن قال: إنه عالم؛ فهو جاهل، ومن قال: إنه مؤمن؛ فهو كافر، ومن قال: هو في الجنة، فهو في النار» [١٨٤]

---

[١٨٠] الوَلاية (بفتح الواو): مصدرُ المُوالاة، التي فيها معنى القرب والمحبة والنَّصرة، والوِلاية (بكسر الواو): مصدر الوالي الذي يتولَّى الأمر.

[١٨١] قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾

[١٨٢] هي طائفة مِن الشيعة الاسماعيليَّة، أسسوا دولة في شرق الجزيرة العربية في القرن الرابع، وعُرفوا بالإجرام، وفساد الدين.

[١٨٣] نبَّه بكلمَة "باطنًا" على مَن يدَّعي التواضع ليُقال عنه: "عالم كبير متواضع" وهو في الحقيقة يرى نفسه عظيمًا، وسيأتي الكلام عنه.

[١٨٤] عن عمر بن الخطاب. رواه الخلال في "السنَّة" (١٢٩٠) واللالكائي (١٧٧٧) بإسناد ضعيف جدا. ونقله ابن كثير في مسند الفاروق (٨١١) عن ابن مردويه، و(٨١٢) عن حنبل بإسناديهما، مُرسَلَيْن، ثم قال: «هذان طريقان متعاضدان» كأنَّه يجنَح إلى

=

ومِنْ علامات ذلك: عدمُ قَبول الحق والانقيادِ إليه، والتكبرُ على من يقول الحقَّ، خصوصًا إن كان دونهم في أعين الناس، والإصرارُ على الباطلِ خشيةَ تفرق قلوب الناس عنهم

تصحيحه.

وقال ابن كثير: «وفي قوله: "ومن قال: أنا مؤمن، فهو كافر" مستَدَلٌّ لمن ذهب من العلماء إلى وجوب الاستثناء في ذلك» يعني في الإيمان.

والاستثناء هو قَول: «إن شاء الله» والسُّنِّيِّ لا يقول: «أنا مؤمن» بل يقول: «أنا مؤمن إن شاء الله» أو «أرجو أن أكون مؤمنًا» والمراد هنا ليس الشك بدينه، وإنما لأن الإيمان درجة فوق درجة الإسلام، فهي درجة الصلاح والاتِّباع، فالذي يجزم لنفسه بالإيمان فإنه لا يرى أن الدين درجات، وهذا اعتقاد المُرجئة. وهذا المُراد بالأثر: أن من أثبت لنفسه الإيمان وبالتالي الجنَّة ولم يستَثنِ، فهو مرجئ، ووصْفُهُ بالكافر يكون لأنَّه هذا مذهب الجهميَّة، والسَّلَفُ كانوا يُكَفِّرونهم، ثم قال بهذا القول أهلُ الرأي، وهم ليسوا بكافرين، ولكن إذا قيل فيهم؛ فيُراد به الكفر بالنصوص الدالة على تفاوت الناس في الإيمان، وهو يدخل في الكفر الأصغر، وكونه مِن أهل النَّار: أي من الفِرَق التي شذَت عن سنة النبي ﷺ، وكلُّها في النَّار.

وقد وجدت تعليقا غير صائب على هذا النص لرجل معروف بالعلم، قال إنه إن صح؛ فمردود على قائله؛ لأن هذا مِن الغيبيَّات!! إلا أني عرفت أن تحقيقه هذا كان أول تحقيق له، فلعله لم لكن عَرَف طبيعة هذه الآثار، فنسأل الله العلم النافع فإنَّه أهل لإكرامِنا بذلك على رغم قصورنا.

بإظهار الرجوع إلى الحق، وربما أظهروا بألسنتهم ذمَّ أنفسهم واحتقارَها على رؤوس الأشهاد؛ ليعتقدَ الناس فيهم أنهم عند أنفسهم متواضعون؛ فيُمدَحون بذلك، وهو من دقائق أبواب الرياء، كما نبه عليه التابعون فمن بعدهم من العلماء، ويظهر منهم من قَبول المَدحِ واستجلابِه مما يُنافي الصدقَ والإخلاص، فإن الصادقَ يخافُ النفاقَ على نفسه، ويخشى على نفسه من سوء الخاتمة، فهو في شغل شاغل عن قَبول المدح واستحسانه.

فلهذا كان من علامات أهل العلم النافع أنهم لا يرون لأنفسهم حالا ولا مَقاما، ويَكرهون بقلوبِهم التزكيةَ والمدح، ولا يتكبرون على أحد.

قال الحسن: «إنما الفقيهُ: الزاهدُ في الدنيا، الراغبُ في الآخرة، البصيرُ بدينه، المواظبُ على عبادة ربه» (١٨٥)

وفي رواية عنه قال: «الذي لا يحسُدُ مَن فَوقه، ولا يَسخَرُ

(١٨٥) (صحيح) رواه ابن أبي شيبة (٣٥١٨٨) بإسناد صحيح، والدارمي في المسند (٣٠٢) بإسناد حسن

ممن دونه، ولا يأخذ على علم عَلَّمَه اللهُ أجرًا» [١٨٦]

وهذا الكلام الأخير قد رُوي معناه عن ابن عمر من قوله[١٨٧]

وأهلُ العِلم النافع كلما ازدادوا في هذا العلم؛ ازدادوا تواضعًا للَّه، وخشية، وانكسارًا، وذلا .

قال بعض السلف: «ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعًا لربه» [١٨٨] فإنه كلما ازداد علمًا بربه ومعرفة به؛ ازداد منه خشية ومحبة، وازداد له ذُلا وانكسارًا.

ومِن علامات العلمِ النافعِ: أنه يدُلُّ صاحبَه على الهرب من الدنيا، وأعظمها الرئاسة والشهرة والمدح، فالتباعد عن

---

[١٨٦] رواه ابن بطَّة في إبطال الحِيَل (ص٢٢) بإسناد حسن، لكن بلفظ قريب، وفيه: «لَا يَهْزَأُ بِمَنْ فَوْقَهُ»

[١٨٧] رواه ابن أبي شيبة (٣٤٦٢٩) والدارمي (٢٩٨) بإسناد ساقط، وفيه «لَا يَحْسُدَ مَنْ فَوْقَهُ»

[١٨٨] رواه ابن أبي شيبة (٣٥٦٨٤) والجرِّي في أخلاق أهل القرآن (٦١) **عن أيوب السختياني بإسناد صحيح**.

ذلك، والاجتهاد في مجانبته من علامات العلم النافع، فإذا وقع شيء من ذلك مِن غير قصد واختيار؛ كان صاحبُه في خوفٍ شديد من عاقِبَتِه، بحيث أنه يخشى أن يكون مكرًا واستدراجًا، كما كان الإمام أحمد يخاف ذلك على نفسه عند اشتهار اسمه وبُعد صيته [١٨٩].

ومن علامات العلم النافع: أنَّ صاحبَه لا يدَّعي العِلمَ، ولا يفخرُ به على أحد، ولا ينسبُ غيرَه إلى الجهل إلا من خالف السنة وأهلها؛ فإنه يتكلم فيه غضبًا لله، لا غضبًا لنفسه، ولا قصدًا لِرفعتها على أحد.

وأما مَن عِلمُه غير نافع فليس له شغل سِوى التكبر بعلمِه على النَّاسِ، وإظهار فضلِ علمه عليهم، ونسبتهم إلى الجهل وتنقُّصهم؛ ليرتفع بذلك عليهم، وهذا مِن أقبح

---

[١٨٩] قال المرُّوذي: قال لي أبو عبد الله [يعني أحمد بن حنبل]: قل لعبد الوهاب: «أَخمِلْ ذِكرك، فإني قد بُليت بالشهرة، إني أتمنى الموت صباحا ومساء» [المناقب لابن الجوزي ص٣٧٧]

الخصالِ وأرداها. وربما نسب مَن كان قبلَه من العلماء إلى الجهل والغفلة والسهو، فيوجب له حبَّ نفسه وحب ظهورها، وإحسان ظنه بها، وإساءة ظنه بمن سلف.

وأهل العلم النافعِ على ضد هذا، يسيؤون الظن بأنفسهم، ويُحسنون الظن بمن سَلف من العلماء، ويُقِرون بقلوبهم وأنفسهم بفضل من سلف عليهم، وبعجزهم عن بلوغ مراتبهم والوصول إليها أو مقاربتها، وما أحسنَ قول أبي حنيفة، وقد سئل عن علقمة والأسود أيهما أفضل؛ فقال: «والله ما نحن بأهلٍ أن نذكرَهم، فكيف نُفَضل بينهم» [١٩٠]

وكان ابن المبارك إذا ذَكَر أخلاق من سلف؛ ينشد:

لَا تَعْرِضَنَّ بِذِكْرِنَا فِي ذِكْرِهِمْ ...
لَيْسَ الصَّحِيحُ إِذَا مَشَى كَالْمُقْعَدِ [١٩١]

---

[١٩٠] طبقات الشعراني (ج١ص٤٦)

[١٩١] رواه أبو نعيم في الحلية (ج٨ص٢٦٦) عن مَخلَد بن الحسين. ونَسَبَه له ايضًا قِوَام السنة الأصبهاني في "سير السلف" (ص١٠٤٨)

[العِي والبيان]

ومَن علمُه غيرُ نافع إذا رأى لنفسه فضلا على مَن تَقدَّمَه في المقال وتشقق الكلام؛ ظن لنفسه عليهم فضلا في العلوم أو الدرجة عند الله لفضل خُصَّ به عمَّن سبق؛ فاحتقر مَن تقدمه، واجتَرأ عليه بقِلة العلم، ولا يعلمُ المسكين أن قلة كلام مِن سَلف إنما كان وَرَعا وخَشية لله، ولو أراد الكلام وإطالَتَه لما عجَز عن ذلك، كما قال ابن عباس لقوم سمعهم يتمارَون في الدين: «أمَا عَلِمتم أن لله عبادًا أسكَتَتهم خَشيَة اللهِ مِن غير عِيٍّ [١٩٢] ولا بَكَمٍ، وإنَّهم لَهُمُ العلماءُ والفُصحاءُ والطلقاءُ والنبلاءُ العلماءُ بأيامِ اللهِ، غيرَ أنهم إذا تَذكروا عظمةَ الله؛ طاشت عقولُهُم، وانكسرت قلوبُهُم، وانقطعت ألسنتُهم، حتى إذا استفاقوا من ذلك؛ يسارعون إلى الله بالأعمال الزاكية، يَعدُّون أنفسَهم من المُفَرَّطِين وإنهم لأكياسٌ أقوياءُ، ومع الظالمين والخاطئين وإنهم لأبرار بُرَآء، إلا أنهم لا يستكثرون له [١٩٣]

---

[١٩٢] **العِيُّ**: التلعثُم في الكلام، أو العجز عن التعبير، أو قلَّة الكلام.

[١٩٣] أي: لله

الكثير، ولا يرضَون له بالقليل، ولا يُدِلُّونَ [١٩٤] عليه بالأعمال، هم حيثُ ما لقيتَهم مهتمُّون مُشفِقون وَجِلون خائفون» خرجه أبو نعيم وغيره [١٩٥]

وخرَّج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي إمامة عن النبي ﷺ قال: «الحَيَاءُ وَالعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ الإِيمَانِ، وَالبَذَاءُ وَالبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ» وحسنه الترمذي. وخرجه الحاكم وصححه [١٩٦]

وخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي

---

[١٩٤] من «الدَّلِّ» بمعنى الدَّلال.

[١٩٥] (حسن) رواه الآجري في الشريعة (١٣٠) بإسناد جيد وألفاظ مختلفة عما في الحِلية (ج١ص٣٢٥) ورواه البيهقي في القضاء والقدر (٤٥٦)

[١٩٦] عند الترمذي برقم (٢٠٢٧) وفي المسند (٢٢٣١٢) وفي المستدرك (١٧) وقال الذهبي: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وقد صححه الألباني، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح دون قوله: «والعي والبيان»

قال الترمذي: «**وَالعِيُّ** قِلَّةُ الكَلَامِ، **وَالبَذَاءُ**: هُوَ الفُحْشُ فِي الكَلَامِ، **وَالبَيَانُ**: هُوَ كَثْرَةُ الكَلَامِ مِثْلُ هَؤُلَاءِ الخُطَبَاءِ الَّذِينَ يَخْطُبُونَ فَيُوَسِّعُونَ فِي الكَلَامِ وَيَتَفَصَّحُونَ فِيهِ مِنْ مَدْحِ النَّاسِ فِيمَا لَا يُرْضِي اللَّهَ»

ﷺ: «الْبَيَانُ مِنَ اللَّهِ، وَالْعِيُّ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَلَيْسَ الْبَيَانُ كَثْرَةَ الْكَلَامِ، وَلَكِنَّ الْبَيَانَ الْفَصْلُ فِي الْحَقِّ، وَلَيْسَ الْعِيُّ قِلَّةَ الْكَلَامِ، وَلَكِنْ مَنْ سَفِهَ الْحَقَّ» (١٩٧)

وفي مراسيل محمد بن كعب القُرَظي عن النبي ﷺ قال: «ثلاث يَنقُص بهن العبد في الدنيا، ويزداد بهن في الآخرة ما هو أعظم من ذلك؛ الرُّحْمُ، والحياء، وعِيِّ اللسان» (١٩٨)

قال عَونُ بنُ عبد الله (١٩٩): «ثلاثٌ مِن الإيمانِ: الحياء، والعفاف، والعي، عيُّ اللسان لا عي القلب، ولا عي العمل، وهن مما يزِدن في الآخرة وينقُصنَ في الدنيا، وما يزدن في الآخرة أكبرُ

(١٩٧) رواه ابن حبان في صحيحه (٥٧٩٦) قال الألباني: «ضعيف جدا» وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده ضعيف جدا»

(١٩٨) رواه الخطابي بإسناده إلى القرظي في "غريب الحديث" (ج١ص٤٧٩) والرُّحم: الرَّحمة.

(١٩٩) تابعيٌّ ثِقَة، عرف بالفِقه والأدب والزهد، وكان مرجئًا ثم تاب.

مما ينقصن من الدنيا»[٢٠٠] وروي هذا مرفوعا من وجه ضعيف[٢٠١]

وقال بعضُ السلف: «إنْ كانَ الرجلُ لَيَجلسُ إلى القومِ فيرَون أن به عِيًّا، وما به مِن عِيٍّ، إنه لَفَقيهٌ مُسَلَّمٌ» [٢٠٢]

فمن عرف قدر السلف؛ عرف أنَّ سكوتَهم عمَّا سكتوا عنه مِن ضُروبِ الكلام، وكثرةِ الجدال والخصامِ، والزيادةِ في البيان على مِقدار الحاجةِ = لم يكن عِيًا ولا جَهلًا ولا قُصورًا، وإنما كان وَرَعا وخَشية لله، واشتغالا عما لا ينفع بما ينفع.

---

[٢٠٠] (اسناده صحيح) رواه عبد الرزاق (٢١٠٦٤)

[٢٠١] (صحيح) رواه الطبراني (٦٣) واسناده ضعيف، ولكن رواه الدارمي في المسند (٥٢٦) وقال حسين سليم أسد: «**إسناده صحيح**». وهو في السلسلة الضعيفة المختصرة للألباني برقم (٦٢٧٧) وفيها انه منكر. ثم وجد الاسناد الذي عند الدارمي وجعله في سلسلته الصحيحة (٣٣٨١).

[٢٠٢] (صحيح) **عن الحسَن البصري**. رواه وكيع في "الزهد" (٣٢٠)، وزهير بن حرب في العِلم (٢٠)

وسواء في ذلك كلامهم في أصول الدين [٢٠٣] وفروعِه [٢٠٤]، وفي تفسير القرآنِ والحديثِ، وفي الزهدِ والرقائقِ [٢٠٥]، والحِكَم والمَواعظ، وغير ذلك مما تكلموا فيه.

فمن سلك سبيلهم؛ فقد اهتدى.

ومن سلك غير سبيلهم، ودخل في كثرة السؤال، والبحثِ والجدالِ، والقيل والقال:

فإن اعترف لهم بالفضل، وعلى نفسه بالنقص؛ كان حاله قريبًا.

---

(٢٠٣) أبواب الإيمان والسُّنَّة.

(٢٠٤) الأحكام العمليَّة.

(٢٠٥) ما يرقق القلب.

وقد قال إياس بن معاوية [٢٠٦]: «ما مِن أحدٍ لا يَعرف عَيبَ نَفسِه؛ إلا وهو أحمقٌ» قيل له: «فما عيبُك؟» قال: «كَثْرَة الكلامِ»[٢٠٧]

وإن ادَّعى لنفسِه الفضلَ، ولِمَن سبقه النقصَ والجهلَ؛ فقد ضل ضلالا مبينًا، وخسر خُسرانًا عظيما.

وفي الجملة ففي هذه الأزمان الفاسدة إما أن يَرضى الإنسان لِنفسِه أن يكونَ عالمًا عِند الله، أو لا يرضى إلا بأن يكون عند أهل الزمان عالمًا؛ فإن رضي بالأول؛ فليكتَفِ بعلمِ اللهِ فيه. ومن كان بينه وبين الله معرفةٌ؛ اكتفى بمعرفةِ اللهِ إياه، ومن لم يرضَ إلا بأن يكون عالمًا عند الناس؛ دخل في قوله ﷺ: «من طلب العلمَ ليباهيَ به العلماءَ، أو يُمارِيَ بِهِ السُّفهاء، أو يصرفَ بِه وُجوهَ الناسِ إليهِ؛ فلْيَتَبَوَّأ مَقعَدَه من

---

[٢٠٦] تابعي، توفي عام ١٢٢هـ أخذ عن أنس بن مالك، وسعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب، وعمر بن عبد العزيز.

[٢٠٧] (حسن) رواه الدولابي في "الكنى والألقاب" (١٩٥٥) والبيهقي في "شعب الإيمان" (٤٧٢٥) و(٤٣٦٨)

النَّارِ» (٢٠٨)

قال وُهَيبُ بن الورد: «رُبَّ عالِمٍ يَقولُ له الناسُ: عالمٌ، وهو مَعدودٌ عند اللهِ مِن الجاهلين»

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: أن أولَ مَن تُسَعَّر به النارُ ثلاثة: أحدُهم مَن قرأ القرآنَ وتعلمَ العِلمَ ليقال: هو قارئ وهو عالم، ويقال له: قَد قِيل ذلك، ثمَّ أمِرَ به فيُسحَب على وجهه حتى ألقي في النار. (٢٠٩)

---

(٢٠٨) (حسن) سبق تخريجه.

(٢٠٩) عبَّرَ عن الحديث بلفظه هو، ولفظ الحديث عند مسلم (١٩٠٥): «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ

=

فإن لم تَقنَع نفسُه بذلك حتى تصل إلى درجة الحُكم بين الناس، حيث كان أهلُ الزمان لا يُعظِّمون من لم يكن كذلك، ولا يلتَفِتون إليه؛ فقد استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، وانتقل من درجة العلماء إلى درجة الظَلَمَة.

ولهذا قال: بعض السلف لمَّا أريدَ على القضاء فأباه: «إنما تعلمتُ العِلمَ لأُحشَر بِهِ مع الأنبياء، لا مع الملوك؛ فإن العلماءَ يُحشرونَ مع الأنبياءِ، والقضاةَ يُحشرون مع المُلوك» (٢١٠)

ولا بد للمؤمن من صبر قليل حتى يصل به إلى راحة طويلة، فإن جزع ولم يصبر؛ فهو كما قال ابن المبارك: «من صَبَرَ فما أقلَّ ما يصبر، ومن جَزِعَ فما أقلَّ ما يَتمتَّع» (٢١١)

فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»

(٢١٠) رواه البيهقي في "السنن الكبرى" (٢٠٢٤٠) عن عبد الله بن وهب، المتوفى ١٩٧هـ وهو من المحدِّثين الأعلام، ولمَّا دُعي لكون قاضيًا؛ تظاهر بالجنون.

(٢١١) رواه ابن أبي الدنيا في "الصبر" (١٤٠)

وكان الإمام الشافعي رحمه الله يُنشد [٢١٢]:

يا نَفسُ ما هِيَ إِلّا صَبرُ أَيّامِ ...
... كَأَنَّ مُدَّتَها أَضغاثُ أَحلامِ

يا نَفسُ جُوزِي عَنِ الدُنيا مُبادِرَةً ...
... وَخَلِّ عَنها فَإِنَّ العَيشَ قُدّامي [٢١٣]

فنسأل الله تعالى علمًا نافعًا، ونعوذُ به من علمٍ لا ينفعُ، ومِن قلبٍ لا يخشعُ، ومن نفسٍ لا تَشبعُ، ومِن دعاء لا يُسمعُ، اللّٰهُمَّ إنّا نعوذ بك من هؤلاء الأربعِ.

الحمد لله رب العالمين وصل اللهُ وسلَّمَ على سيدنا محمد وآلهِ وصَحبه أجمعين.

---

[٢١٢] ليسَ الإنشاد المعروف اليوم الذي كالغِناء، وإنما تقول العَرَب: «أنشَدَ الشِّعرَ» كما تقول «روى الحديث» و«تلا الآية» و«أخبَرَ بالخبر» كذلك «أنشد البيت» أو «أنشد الشعر» وأصل الإنشاد: رفع الصوت.

[٢١٣] ترتيب الأمالي، للشجري (ما هِيَ إِلّا صَبرُ)

فصلٌ

لِيُتَدَبَّر ما ذم اللهُ به أهلَ الكتابِ مِن

قسوَةِ القُلوب بَعد إيتائهم الكتاب ومشاهدتهم الآيات، كإحياء القتيل المضروب ببعض البقرة.

ثم نُهِينا عن التشبُّه بهم في ذلك، فقيل لنا: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾

وبَيَّن في موضع أخر سببَ قسوةِ قلوبِهم، فقال سبحانه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ فأخبَرَ أنَّ قسوةَ قلوبِهم كانت عقوبةً لهم على نَقضِهِم ميثاقَ اللّٰهِ، وهو مخالفتهم لأمره، وارتكابُهم لنهيه بعد أن أُخِذَت عليهم مواثيق الله وعهودُه أن لا يفعلوا ذلك، ثم قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ

الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ فذكر أن قسوة قلوبِهِم أوجَبت لهم خِصلتين مذمومتين:

إحداهما: تحريفُ الكَلِمِ مِن بَعدِ مواضعه.

والثانية: نسيانُهم حظًا مما ذُكِّرُوا به، والمرادُ: تركُهُم وإهمالُهُم نَصيبًا مما ذُكِّرُوا به من الحِكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، فنَسُوا ذلك، وتركوا العمل به وأهملوه.

وهذان الأمران موجودان في الذِينَ فَسدوا من عُلمائنا، لمشابهتهم لأهل الكتاب:

أحدهما: تحريفٌ، فإنَّ مَن تفقَّه لِغَيرِ العمل؛ يقسو قلبُه، فلا يشتغل بالعمل، بل بتحريفِ الكلم، وصرف ألفاظ الكتاب والسنة عن مواضعها، والتلطفِ في ذلك بأنواع الحِيَل اللَّطِيفة؛ مِن حملِها على مجازات اللغة المُستبعَدةِ [٢١٤]، ونحو ذلك، والطعنِ

---

[٢١٤] كالقول أن الحديث الصحيح عن صعود روح المسلم قال النبي ﷺ: «إلى السماء التي فيها الله» قالت الجهمية: «فيها نِعَم الله» والقول أن معنى ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ أي: «وعصى أولادُ آدمَ ربهَّم»

في ألفاظ السُّنن، حيث لم يُمْكنهم الطعن في ألفاظ الكتاب [٢١٥]، ويذمون من تمسك بالنصوص وأجراها على ما يُفهم مِنها، ويسمونه جاهلا، أو حشويًّا [٢١٦].

وهذا يوجد في المتكلمين في أصول الديانات [٢١٧]، وفي فُقهاء الرأي [٢١٨]،

---

[٢١٥] وقد صرَّح الفخر الرازي (صاحب التفسير) بذلك، فقال: «كان القطع حاصلا بأن شيئا من هذه الألفاظ ليس من ألفاظ الرسول صلى الله عليه وسلم بل ليس ذلك إلا من ألفاظ الراوي» [أساس التقديس ص١٢٩]

[٢١٦] يقول الغزالي: «وعرفوا أن من ظن من الحشوية وجوب الجمود على التقليد [يقصد بالتقليد: متابعة السلف]، واتباع الظواهر [أي: المعنى الظاهر من نصوص الكتاب والسنة دون تحريف]، ما أتوا به إلا من ضعف العقول وقلة البصائر» [الاقتصاد في الاعتقاد ص٩]

[٢١٧] كقول الواحِدي أن معنى قول الله تعالى ﴿أأمنتم مَن في السَّماء أن يَخسِف بكم الأرض﴾ «هو جبريل» وهذا التحريف لم يَسبِقه إليه أحد، وتابعه عليه أهل الكلام، كالرازي، والقرطبي وغيرهم.

[٢١٨] كالتحريف هذا الذي أبطلوا فيه شرطيَّة الولي في النكاح الوارد في قول النبي ﷺ: «لا نكاح إلا بولي» قال القدوري الحنفي: «الخبر يقتضي ثبوت النكاح بولي، والزوج ولي

=

وفي صوفية الفلاسفة والمتكلمين [٢١٩].

والثاني: نسيانُ حظٍ مما ذُكِّروا به مِن العلم النافع، فلا تتعظ قلوبُهم، بل يذُمون مَن تعلَّم ما يُبكيه ويَرق به قلبُه، ويسمونه قاصًّا [٢٢٠].

ونَقَل أهلُ الرأي في كتبهم عن بعض شيوخهم: أن ثمرات

في عقود نفسه، والمرأة وليه في عقود نفسها» [التجريد ج٩ص٤٢٦٣] فجعل كلمة الولي لا قيمة لها، وأبطل ما جاء به الرسول ﷺ في هذا الباب.

[٢١٩] كما في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ وهذه آية فيها الحض على طلب الطريق المقرِّب إلى الله تعالى، فجعلوها في دعاء الموتى، والاستغاثة بهم، أو لبدعة الدعاء بجاه الآخرين.

[٢٢٠] وهذا مذهب طائفة من مدَّعي الاتباع للسلف، مُعرِضُونَ تمامًا عن أبواب الزهد والخَشيَة، وهذه الأبواب صنَّف فيها المعافى بن عِمران، وابن المبارك، ووكيع، وأحمد، وأبو داود، وابن أبي حاتم، وابن أبي عاصم، وغيرُهم، من علماء السَّلف والناقلين عنهم، فتجد الطائفة القاسية يدَّعون متابعة هؤلاء الأئمة، ويذمون من تكلَّم في مثل كلامهم في الزهد ورقة القلب، ويسمونه صوفيا، وقَصَّاصًا.

والقُصَّاص عِندَ السَّلَف مذمومون، وهُم الذين انشغلوا بالقصص عن العلم النافع، وأكثر قصصهم باطلة ومُختَرعَة.

العلوم تدل على شرفها فمن اشتغل بالتفسير، فغايتُه أن يقُصَّ على الناسِ ويُذكرَهم، ومن اشتغل برأيهم وعِلمِهم، فإنه يُفتي ويَقضي ويحكُم ويُدَرِّس، وهؤلاء لهم نصيب من الذين ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾.

والحاملُ لهم على هذا: شدةُ محبتِهم للدنيا وعلوِّها، ولو أنهم زهِدوا في الدنيا ورغِبوا في الآخرة، ونصحوا أنفسهم وعبادَ الله؛ لَتَمسكوا بما أنزل اللهُ على رسوله، وألزموا الناس بذلك، فكان الناسُ حينئذٍ أكثرهم لا يخرجون عن التقوى، فكان يكفيهم ما في نصوص الكتاب والسنة، ومَن خَرَجَ منهم عنهما كان قليلًا، فكان الله يُقيِّض من يفهم مِن معاني النصوص ما يردُّ بها الخارجَ عنها إلى الرجوع إليها، ويستغني بذلك عما ولَّدوه من الفروعِ الباطلة، والحِيَل المُحَرَّمة التي بسببها فُتحت أبواب الرِّبا وغيرِه من المحرمات، واستُحِلت محارمُ الله بأدنى الحِيَل كما فعل أهل الكتاب.

و ﴿هَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

وصلى الله على سيـدنا محمـد وآله

وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا

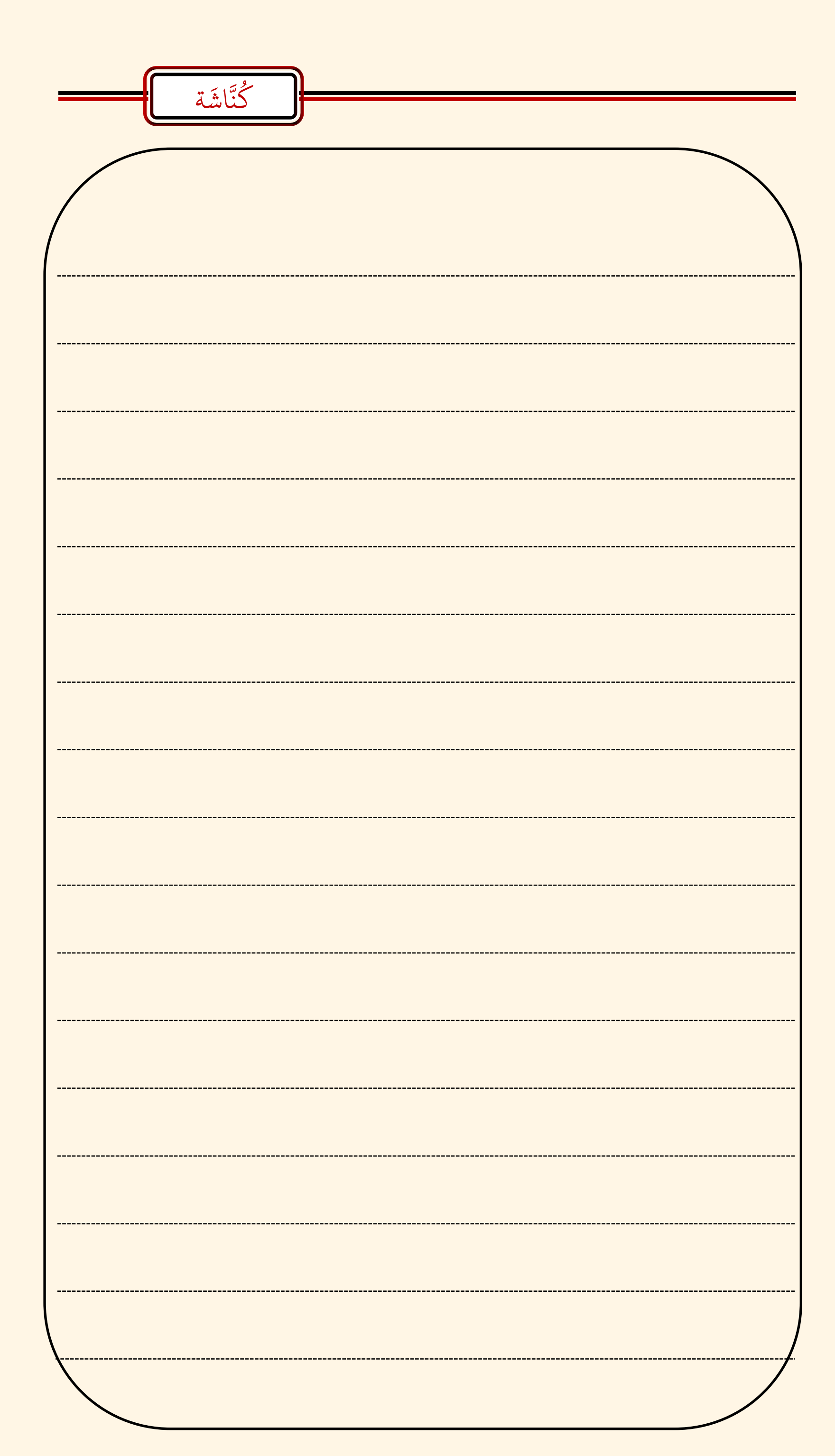
إلى يـوم الـــدين.

وحسبنا الله

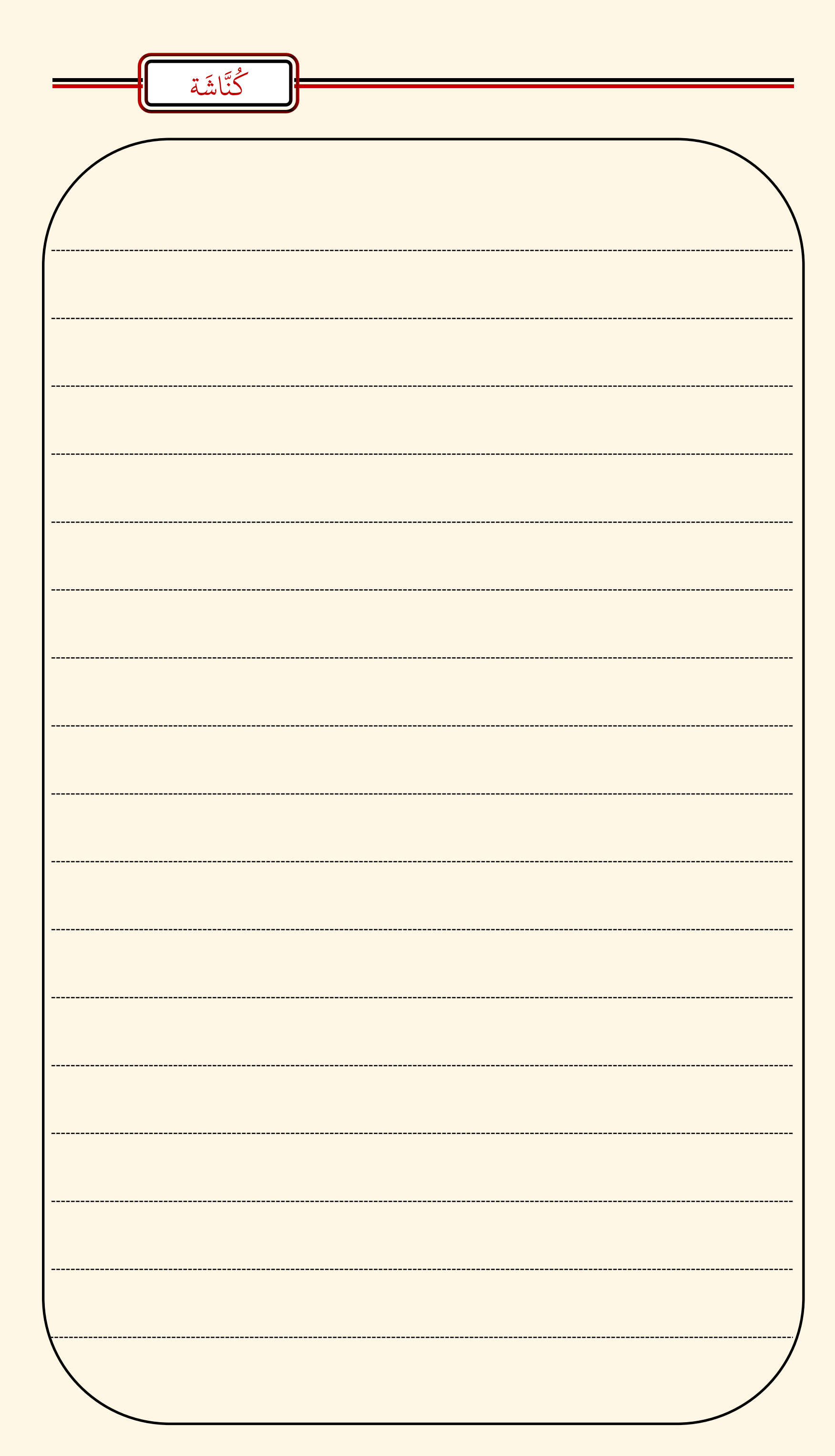
ونعـــــم

الوكيل

.


كُنَّاشَة

كُنَّاشَة


كُنَّاشَة